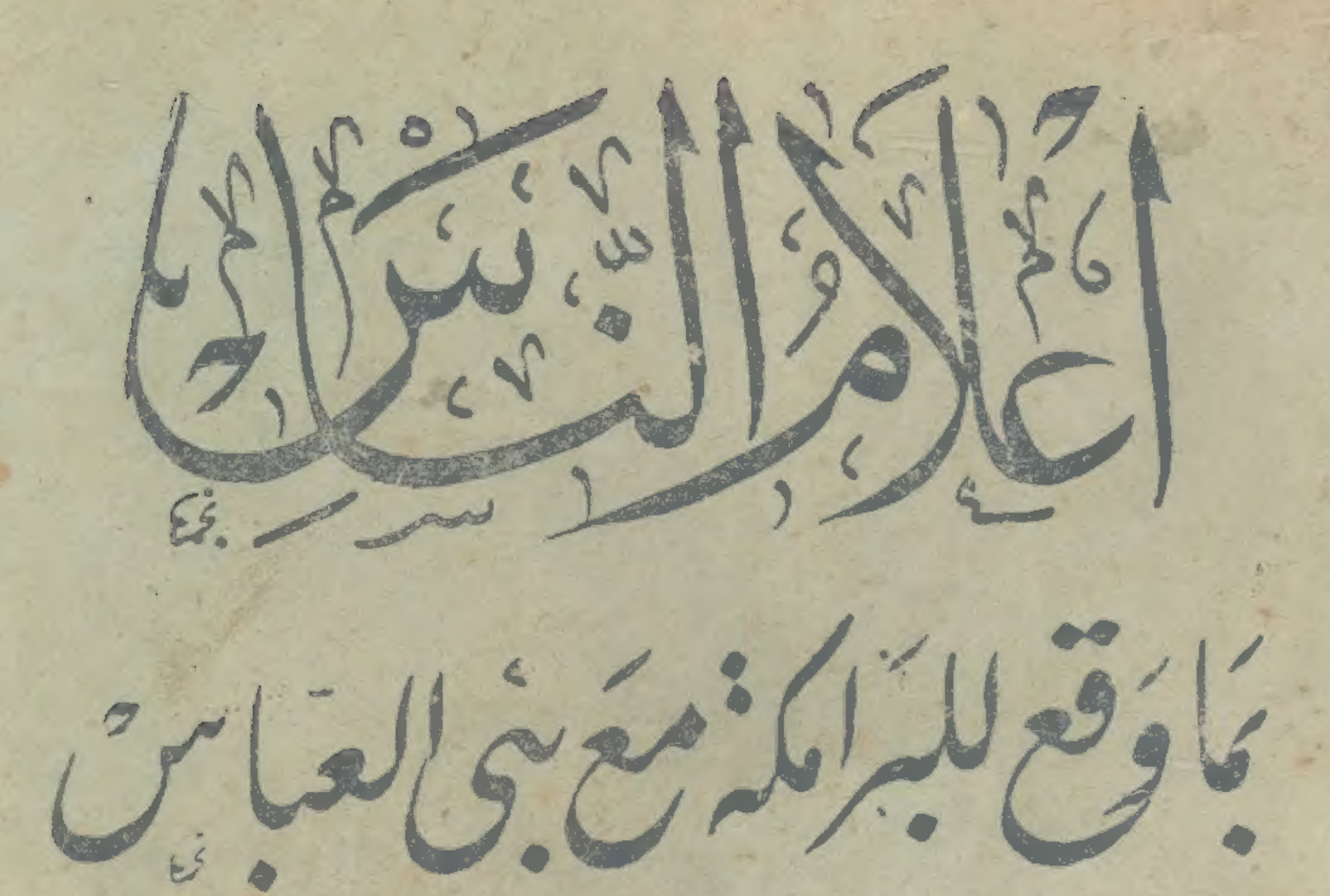


بما وقع للبرامكة مع بني العباس

تأليف الامام الفاضل والهمام الكامل محمد

المعروف بدياب الاتليدى رحمه الله

تعالى والمسلمين ونفعنا

وبعلومه آمين

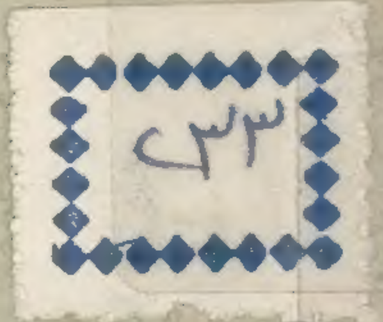
يطلب من

مكتبة التقدم التجاريه بدرب العنبه

نمره ٧ و ١٠ بشارع محمد على بمصر

لصاحبها فهمي يوسف

مطبعة التقدم التجاريه





تأليف الامام الفاضل والهمام الكامل محمد

المعروف بدياب الاتليدى رحمه الله

تعالى والمسلمين ونفعنا

به وبعلومه آمين



يطلب من

مكتبة التقدم التجاريه بدرب العنبه نمرة ٧ و ١٠

بشارع محمد على بمصر

لصاحبها فهمي يوسف

مطبعة التقدم التجاريه بدرب العنبه نمره ١٠ و ٧ شارع محمد على بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمدلله) الذى أنزل الكتاب المبين . على أشرف الانبياء والمرسلين وقص عليه أخبار المتقدمين والمتأخرين . وعلمه ما كان وما يكون الى يوم الدين نحمده اذ جعلنا من أمته . ونشكره على عطائه ومنته . ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له إذ من علينا بمعرفة أحوال من مضى من الامم . ولم يكشف عنا ستره اذا زلت بنا القدم وجعلنا أمة عدلا وسطا وشهد لنا بذلك فى الكتاب العظيم المكرم . «فقال تعالى كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» فظهر الفضل بما جاء به وتكرم ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذى قال ادبنى ربى فاحسن تأديبى . فساد على جميع الانبياء وعليهم تقدم . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم «وبعد» فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط فى أيامه . وكثير التخليط وزيادة آثامه . محمد المعروف بدياب الاتليدى من أقيم المنية الخصيبة . سألنى بعض الاخوان الموفقين ممن لا يسعنى مخالفته ان أجمع له شيئا مما وقع فى زمن الخلفاء المتقدمين من بنى أمية والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع علمى انى لست أهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خير من الادب وسميته « إعلام الناس بما وقع للبرامكه مع بنى العباس» وابتدأت فى ذلك بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه تبركا به وذكره (قيل) لما رجع عمر رضى الله عنه من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فمر بعجوز فى خباء لها فقصدها فقالت . مافعل عمر رضى الله عنه قال قد اقبل من الشام سالما فقالت ياهذا لا جزاه الله عنى خيراً قال ولم قالت لانه ما اتانى من عطائه منذ ولى أمر المسلمين ديناراً ولا درهما فقال ومايدرى بحالك وأنت فى هذا الموضع فقالت سبحان الله والله ماظننت ان أحدا يلى على الناس ولا يدرى مابين مشرقها أومغربها فبكى عمر رضى الله عنه وقال واعمراه كل احد أفقه منك حتى العجائز ياعمر ثم قال لها ياأمة الله بكم تبيعنى ظلامتك من عمر فانى ارحمه من

النار فقالت لاتهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر لست اهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً فبينما هو كذلك اذ اقبل علي ابن أبي طالب وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت وسوأتاه شتمت امير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانه ظلامتها منذ ولى الخلافة الى كذا بخمسة وعشرين ديناراً فما تدعى يوم وقوفه في المحشر بين يدى الله تعالى فعمر برىء منه شهد ذلك على وابن مسعود ثم دفعها الى ولده وقال له اذا انامت فاجعلها في كفني التي بها ربي (وقال) شرف الدين حسين بن ريان انه بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جالس في بعض الايام وعنده اكابر الصحابة واهل الرأى والاصابة. اذ أقبل شاب نظيف الاثواب يكتنفه شابان من أحسن الشبان نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه واوقفاه بين يدى أمير المؤمنين ولبباه. فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما بالكف عنه فادنياه منه وقالا يا أمير المؤمنين نحن اخوان شقيقان. جديران باتباع الحق حقيقان كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير معظم بقبائله منزه عن الرذائل معروف بفضائله . ربانا صغاراً وأعزنا كباراً نعما غزاراً

خرج اليوم الى حديقة له يتنزه في أشجارها . ويقطع يانع ثمارها فقتله هـذا الشاب وعدل عن طريق الصواب . ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما أراك الله فنظر عمر الى الشاب وقال له. سمعت فا الجواب والغلام مع ذلك ثابت الجأش خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع . ونزع جلباب الجزع. فتبسم عن مثل الجمان . وتكلم بافصح لسان . قال يا أمير المؤمنين والله لقد وعيا وصدقا. فيما نطقا. وخبرا بما جرى . وعبرا بما ترى . وسأنهى قصتي بين يديك . والامر فيها اليك . واعلم يا أمير المؤمنين انى من العرب العرباء أبيت في منازل الباديه وأصبح على اسود السنين العادية . فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فامضت بي بعض طرايقها. الى المسير بين حدائقها . بنياق حبيبات عزيزات على بينهن فحل كريم الاصل . كثير النسل . مليح الشكل . أحسن النتاج

يمشي بينها كأنه ملك عليه تاج فدنت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد زمجر وزفر واستور الحائط وظهر وفي يده اليمنى حجر. يتهادى كالليث اذا خطر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله . وأصاب مقتله. فلما رأيت الفحل قد سقط ولجنبه انقلب . توقدت في جمرات الغضب. فتناولت ذلك الحجر بعينه . فضربته به . فكان سبب حينه . ولقى سوء منقلبه. المرء مقتول بما قتل به . بعد ان صاح صيحة عظيمه . وصرخ صرخة أليمة وسرعت من مكاني . فلم يكن أسرع من الشابين فامسكاني وأحضراني كما تراني فقال عمر .قد اعترفت بما اعترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب طوعا لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام لكن لى أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وأحضره بين يدى واسلم أمره الى وأشهد الله على وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك فاتخذت لذلك مدينه ووضعته فيه ولا يعلم به الا أنا فان حكمت الآن بقتلى ذهب الذهب وكنت أنت سبب .طالبك الصغير بحقه يوم يقضى الله بين خلقه وان انتظرتنى ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام وعدت وافيا بالذمام ولى من يضمنى على هذا الكلام فاطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقول على ضمانه والعود الى مكانه قال فنظر الغلام الى وجوه أهل المجلس الناظرين وأشار الى ابى ذر دون الحاضرين قال هذا يكلفنى ويضمنى قال عمر ياباذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم اضمنه ثلاثة أيام فرضى الشابان بضمان أبى ذر وانذراه بذلك القدر فلما انقضت مدة الامهال وكاد وقته يزول وقد زال الشابان الى مجلس عمر وأصحابه حوله كالنجوم حول القمر وأبوذر قد حضر والخصم ينتظر فقال ابن الغريم ياأبا ذر كيف يرجع من فر فقال أبوذر وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت الضمان واسلمت نفسى والله المستعان فقال عمر والله ان تأخر الغلام لامضين فى أبى ذر ماتقتضيه شريعة الاسلام فهمت عبارات الناظرين اليه وعلت زفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد التسبيح فعرض كبار الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام اللاثنيه فاصرا على عدم القبول وابيا الا

الاخذ بثار المقتول فبينما الناس يموجون تلفتا للامر وتأسفا على ماقد حصل ويضجون لاجل أبي ذر اذا قبل الغلام ووقف بين يدى الامام وسلم عليه اتم السلام . ووجهه يتهلل مشرقا وقال قد سلمت الصبي الى أخواله وعرفتهم بخفى أمواله واطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف عنه من قدر ومن رحمة الطالب وعدا وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينج منه احترس كيلا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبو ذر والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من أى قوم . ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن نظر الى دون من حضر فقصدنى وقال هذا يضمنى فلم استحسن رده وابت المروئه بران لا أخيب قصده فقال الشان عند ذلك يا أمير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا . فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام . وصدقه ووفائه واستغز مروءة أبي ذر من جلسائه . واستحسن عماد الشابين فى اصطناع المعروف . واثنى عليهما أحسن ثنائه

ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية أبيهما فقالا انما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن بينه هكذا . لا يتبع احسانه منا ولا أذى (واحضر الهرمزان بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ماسور فدعاه الى الاسلام فابى فامر بضرب عنقه فقال يا أمير المؤمنين قبل ان تقتلنى اسقنى شربة من الماء ولا تقتلنى ظمآن فامر له عمر بقدح مملوء ماء فلما صار القدح فى يد الهرمزان قال أنا امن حتى اشربه قال نعم لك الامان فالقى الهرمزان الاناء من يده فاراقه ثم قال الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر رضى الله عنه عودوه حتى انظر فى أمره فلما رفع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله قال قال عمر لقد اسلمت فما اخرك قال خشيت ان يقال أنى اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره فى اخراج الجيوش الى أرض فارس ويعمل برأيه اه (ومما ذكره) عبد الملك بن زيدون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما وقع لجبلة بن الايهم حين لطم الفزارى على وجهه لما داس على ردائه وقال له عمر رضى الله

عنه دعه يقتص منك واما هذا فقال لعمر وهل استوى أنا وهو في ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال اجلني الى غد فلما أصبح مضى الى قيصر الروم وارتد

ولما تقصر جبله بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينيه اقطعه هرقل بالاموال والضياع ثم ان عمر رضى الله عنه بعث رسول الى قيصر يدعوه الى الاسلام أو الجزيه فلما أراد الانصراف قال هرقل للرسول القيت عمك يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا قال لا قال فالقه ثم ائتنى قال فذهبت الى جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب البهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم أزل اتلطف بالاذن فاذن لى فدخلت عليه فرأيته قاعداً على سرير من قوارير على قوائمه أربعة أسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسألنى عن المسلمين فذكرت له وأخيرا وقلت له اضعف ضعافا على ماتعرف قال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرأيت الغم فى وجهه لما ذكرت من سلامه عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تابى الكرامة التى اكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبال على ماقعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت ويحك ياجبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال ابعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزاره اكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام لان الرجل الذى كان تنفر جبلة من أجله لما لطمه وأراد عمر ان يقتص منه كان فزاريا أيضا فقلت له أمرك اصغر من أمره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال ان كنت تضمن لى عمر ان يزوجنى ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت التزويج ولم اضمن توليه الامر ثم أومأ الى خادم كان على رأسه واقفاً فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق بها طعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضه وقال لى كل فقبضت يدى وقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضه قال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل

فيما احببت قال فاكل فى الذهب واكلت أنا فى الخلنج ثم دعا بالطشوت الذهب وأباريق الفضه فغسل يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم اوما الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت صوتا فاذا خدم معهم كراسي مرصعة بالجواهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان الذهب فقعدت عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم جاءت جارية أيضا كانها الشمس حسنا على رأسها تاج وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها جامة فيها مسك فتيت وفى يدها الاخرى جامة فيها ماء ورد فاومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر الذى على تاجها فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم اومأت اليه فطار ثم نزل على صليب فى تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجوارى اللواتى على يمينه فقال لهن اضحكتنا فاندفعن فجعلن يخفقن عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق فى الزمان الاول
الى قوله اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

فضحك جبلة ثم قال أتدرى من تقول هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبي ثم أشار الى الجوار اللواتى عن يساره وقال ابكيننا فاندفعن يغنين ويخففن عيدانهن

ويقلن لمن الدار اقفرت بمعان بين اعلى اليرموك بالجمان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر وحق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتى سال دمعه على لحيته ثم قال اتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم أنشد الأبيات التى اولها تنصرت الاشراف الى آخرها ثم سألنى عن حسان أخى هو قلت له نعم فامر له بكسوة وأنا أيضا كذلك ثم أمر لحسان بمال ونوق موفورة برا ثم قال لى ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية واقرئه منى السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر النوق على قبره قال فلما اخبرت عمر رضى الله عنه بخبره وما اشترطه على وما ضمنته له قال فهلا ضمنت

له الامارة فاذا افاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ماكان الا ماأراد ثم جهزنى ثانياً الى هرقل وأمرنى اذاضمن له مااشترطه فلمادخلت القسطنطينيه وجدت الناس منصرفين من جنازته (وقيل) أنه قدم اهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكون سعد بن أبى وقاص فقال من يعزرنى من أهل الكوفة اذ وليتهم التقى ضعفوه وان وليتهم القوى فجروه فقال له المغيرة بن شعبة يأمير المؤمنين ان التقى الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوى الفاجر لك قوته وعليك فجوره قال صدقت أنت القوى الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم أيام عمر وعثمان ومعاوية حتى مات (وقيل) دخل عمرو بن معد يكرب الزبيدى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمرو أخبرونى عن اجبن من لقيت وأحيل من لقيك وأشجع من لقيت قال خرجت مره اريد الغار فبينما أناسائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذ رجل جالس كاعظم مايكون من الرجال خلقا وهو محمل بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فانى قاتلك فقال ومن أنت فقلت أنا عمرو بن معد يكرب الزبيدى فشهق شهقة فمات فهذا اجبن من رأيت. وخرجت مرة حتى انتهيت الى حى فاذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبه فى مدة يقضى حاجته فقلت خذ حذرك فانى قاتلك قال وما أنت فاعلمته بى فقال يأبا ثور ماانصفتنى اعطنى عهدا انك لاتقتلنى حتى أركب فرسى مثلك فاعطيته عهداً فخرج من الموضع الذى كان فيه واحتبى بحمائل سيفه وجلس فقلت ماهذا فقال ماانا براكب فرسى ولا بمقاتلك فان نكثت عهدك فانت أعلم بناكث العهد فتركته وغضبت فهذا اجبن من رأيت وخرجت حتى انتهيت الى موضع اقطع فيه الطريق فلم أر أحدا فاجريت فرسى يميناً وشمالا واذا أنا بفارس فلما دنا منى فاذا هو غلام حسن بيت عذاره من اجمل مارأيت من الفتيان وأحسنهم واذا هو قد اقبل من نحو اليمامة فلما قرب منى سلم على فرددت عليه السلام وقلت من الفتى قال الحارث بن سعد فارس الشهباء فقلت له خذ حذرك فانى قاتلك فقال الويل لك فمن أنت قلت عمرو بن معد يكرب الزبيدى قال الذليل الحقير والله مايمنعنى من قتلك الا استصغارك فتصاغرت على نفسى يأمير المؤمنين وعظم عندى مااستقبلنى به فقلت له دع هذا وخذ حذرك فانى

قاتلك والله لاينصره الا أحدنا فقال اذهب ثكلتك أمك فانا من أهل بيت ماملكنا فارس قط هو الذى تسمعه قال اختر لنفسك فاماان تطردلى أو أطرد لك فاغتنمها منه فقلت له اطرد لى فاطرد وحملت عليه فظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف على فقنع بالقناة رأسى وقال خذها اليك واحده ولو أنى اكره قتل مثلك لقتلتك قال فتصاغرت نفسى عندى وكان الموت أحب الى مما رأيت فقلت له والله لاينصرف الا أحدنا فاطرد فعرض مقالته الاولى فقلت اطرد لى فاطرد فظننت انى تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فوثب من فرسه فاذا هو صار لبدا لفرسه ثم عطف على فقنع بالقناة رأسى وقال خذها اليك ثانيه فتصاغرت على نفسى جداً وقلت والله لاينصرف الا أحدنا فاطردت حتى ظننت ان الرمح بين كتفيه فوثب من فرسه فاذاهو على الارض فاخطأته فاستوى على فرسه اتبعنى حتى قنع بالقناة رأسى وقال خذها اليك ثالثة ولولا كراهتى لقتلى مثلك لقتلتك فقلت اقتلنى أحب الى ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال ياعمر وانما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك فى الرابعة قتلتك وانشد يقول

وكدت اغلاظا من الايمان ان عدت ياعمرو الى الطغيان
لتجدن لهب السنان أو لا فلست من بنى شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لى اليك حاجة قال وما هى قلت اكون صاحبا لك قال لست من أصحابى فكان ذلك أشد على واعظم مما صنع فلم أزل اطلب صحبته حتى قال ويحك أتدرى أين أريد قلت لا والله قال أريد الموت الاحمر عيانا قلت أريده معك قال امض بنا فسرنا يومنا أجمع حتى أتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حى من احياء العرب فقال لى ياعمرو فى هذا الحى الموت الاحمر فاما ان تمسك على فرسى فانزل وآتى بحاجتى واما ان تنزل وامسك فرسك فأتينى بحاجتى فقلت بل انزل أنت فانت اخبر بحاجتك منى فرمى الى لعنان فرسه ورضيت بان اكون له سائساً ثم مضى الى قبة فاخرج منها حسناً وجمالا فحملها على ناقته ثم قال ياعمرو فقلت لبيك قال اما ان تحمينى وتقود الناقه أو احميك وتقودها فقلت احمنى أنت فرمى الى بزمام الناقة ثم

سرنا حتى أصبحا قال ياعمرو قلت ماشأنك قال التفت فانظر هل ترى أحدا فالتفت فرأيت رجالا فقلت اغذذ السير ثم قال ياعمرو انظر ان كانوا قليلا فالجلد والقوه وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيراً فليسوا بشي فالتفت وقلت هم اربعة أو خمسة قال اغذذ السير ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال ياعمرو كن عن يمين الطريق وقف وحول وجه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا وهم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو أبو الجاريه والشابان أخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن أخي فقال ما كنت لاجلبها ولا لهذا أخذتها فقال لاخد بنيه اخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول

من دون ماترجوه خضب الزابل　　من فارس ملثم مقاتل

ينتمي الى شيبان خير وائل　　ماكان يضرى نحوها بباطل

ثم شدد عليه بطعنة قدمتها صلبه فسقط ميتاً فقال الشيخ لابنه الآخر أخرج اليه فاقبل الحارث وهو يقول

لقد رأيت كيف كانت طعنتي　　والطعن للقوم الشديد الهمة

والموت خير من فراق خلتي　　فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد عليه بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة يا ابن أخي فاني لست كمن رأيت فقال لا فقال الشيخ يا ابن أخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول

ما ارتجى عند فناء عمرو　　سأجعل التسعين مثل شهر

تخافني الشجعان طول دهرى　　ان استباح البيض قصم الظهر

فاقبل الحارث وهو ينشد ويقول

بعد ارتحالى ومطال سفرى　　وقد ظفرت وشفيت صدرى

فالموت خير من لقا الغدر　　والعار أهديه لحى بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن أخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية فاضربني وان شئت فاضربني فان ابقيت فى بقية ضربتك فاغتنمها الفتى

وقال أنا ابدأ فقال الشيخ هات فرفع الحارث يده بالسيف فلما نظر الشيخ أنه قد هوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة فقدمنها امعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ فسقطا ميتين فأخذت أربعة افراس وأربعة اسياف ثم أقبلت الى الناقة فقالت الجارية ياعمرو الى أين ولسنا باصحاب ولست كمن رأيت فقلت اسكتي فقالت ان كنت لى صاحبا فاعطني سيفاً أو رمحا فان غلبتني فانا لك وان غلبتك قتلتك مالنا بمعط ذلك وقد عرفت أهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها عن البعير ثم أنشدت تقول

ابعد شيخى ثم بعد اخوتى   يطيب عيشى بعدهم ولذتى

وأصحبن من لم يكن ذا همة   هلا تكون قبل ذا منيتى

ثم هوت الى الرمح وكادت تنزعه من يدى فلما رأيت منها ذلك خفت ان ظفرت بى قتلتنى فقتلتها فهذا أشجع من رأيت

(ويحكى) ان عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها ولم يتمكن منها خوفا من زوجته فمضت يوما زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فقالت أفعلتها قال لم اكن فاعلها قالت فاقرأ فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال

علمت بان وعد الله حق   وان النار مثوى الكافرين

وان العرش فوق الماء طاف   وفوق العرش رب العالمين

وتحمله ملائكة كرام   ملائكة الاله مسومين

قال صدقت وكذبت عيناى قال فذهبت وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت اه

(أول دولة بنى أمية معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما)

جلس يوما فى مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربع يدخل فيه النسيم من كل جانب فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوما شديد الحر وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر الى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل فى مشيته حافيا فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله أشقى ممن يحتاج الى الحركة فى هذا الوقت فقال بعضهم

لعله يقصد أمير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدى لاجل شيء لاعطينه أو مظلوما لنصرته ياغلام قف بالباب فان طلبنى هذا الاعرابى فلا تمنعه من الدخول على نخرج فوافاه فقال ماتريد قال أمير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل قال من تميم قال فما الذى جاءبك قال جئت شاكيا وبك مستجيراً قال ممن قال من مروان بن الحكم وأنشد

اتيتك لما ضاق فى الارض مذهبى ... فياغوث لاتقطع رجائى من العدل
وجد لى بانصاف من الجائر الذى ... بلانى بشى كان ايسره قتلى
سبانى سعدى وانبرى لخصومتى ... وجار ولم يعدل واغضبنى أهلى
وهم بقتلى غير ان منيتى ... تأنت ولم استكمل الرزق من اجلى

فلما سمع معاويه كلامه قال له مهلا ياأخا العرب أذكر قصتك وابن لى عن أمرك فقال ياأمير المؤمنين كانت لى زوجة وكنت لها محباً وكنت بها قرير العين طيب النفس وكانت لى جذعة من الابل كنت أستعين بها على قوام حالى وكفاية أودى فاصابتنا سنة أذهبت الخف والحافر فبقيت لاأملك شيئا فلما قل مابيدى وذهب ماعندى وذهب مالى وفسد حالى بقيت مهانا ثقيلا على الذى يألفنى وابعدنى من كان يشتهى قربى فلما علم أبوها مابى من سوء الحال وشر المآل أخذها منى وجحدنى وطردنى فاتيت الى عاملك مروان بن الحكم لنصرتى فلما احضر أباها وسأله عن حالى فقال ماأعرفه قط فقلت أصلح الله الامير ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول أبيها ففعل فلما حضرت وقعت منه موقع الاعجاب فصار لى خصما وعلى منكراً وأظهر لى الغضب وبعث بى الى السجن فبقيت كانى خررت من السماء أو استهوت بى الريح فى مكان سحيق ثم قال لابيها هل لك ان تزوجنيها على الف دينار وعشرة آلاف درهم وأنا ضامن خلاصها من هذا الاعرابى فرغب أبوها فى البذل وأجابه الى ذلك فلما كان من الغد بعث الى وأحضرنى وقال طلق سعاد فقلت لا فسلط على جماعة من غلمانه فاخذوا يعذبونى فلم أجد لى بدا من طلاقها ففعلت فاعادنى الى السجن فمكثت فيه الى أن انقضت عدتها فتزوجها واطلقنى وقد أتيتك راجياً وبك مستجيراً واليك ملتجا وانشد

في القلب مني غرام للنار فيه استعار   والجسم مرمى بسهم فيه الطبيب يحار
وفى فؤادى جمر والجمر فيه شرار   والعين تهطل دمعاً فدمعها مدرار
وليس الا بربى وبالامير انتصار

ثم اضطرب واصطكت أسنانه وصار مغشياً عليه وأخذ يتلوى كالحية فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى بن الحكم فى حدود الدين واظلم واجترأ على حرم المسلمين ثم قال لقد أتيتنى يااعرابى بحديث لم أسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه . أنه قد بلغنى أنك تعديت على رعيتك فى حدود الدين وينبغى لمن كان والياً يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعد كلام طويل وأنشد يقول

وليت أمرا عظيما ليس تدركه   فاستغر الله من فعل امرىء زانى
وقد اتانا الفتى المسكين منتحبا   يشكو الينا ببث ثم احزانى
اعطى الاله يمينا لايكفرها   شيء وابرأ من دينى وايمانى
ان انت خالفتنى فيم كتبت به   لاجعلنك لحماً بين عقبانى
طلق سعاد وعجلها مجهزة   مع الكميت ونصر بن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى الكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما فى المهمات لامانتهما فاخذ الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال ثم قرأ الكتاب وبكى وقام الى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاويه فطلقها بمحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزها وصحبتهما ثم كتب الى مروان كتابا يقول فيه

لاتعجلن أمير المؤمنين فقد   اوفى بنذرك فى سر واعلان
وما اتيت حراما حين اعجبنى   فكيف ادعى باسم الخائن الزانى
اعذر فانك لو ابصرتها لجرت   فيك الامانى على تمثيل انسانى
فسوف تأتيك شمس ليس يدركها   عند الخليفة من انس ومن جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين وسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما

اليه الكتاب فقرأه وقال لقد أحسن فى الطاعة واطنب فى ذكر الجارية ثم أمر باحضارها فلما رآها رأى بصورة حسناء لم ير أحسن منها فخاطبها وجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال ياعرابى هل لك عنها من سلوة وأعوضك عنها ثلاث جوار نهدا بكارا مع كل جارية الف دينار وأقسم لك فى بيت المال كل سنة مايكفيك وما يغنيك فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية أنه مات بها فقال له معاوية مابالك فقال الاعرابى استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن استجير من جورك وانشد

لاتجعلنى فداك الله من ملك ... كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب ... يمسى ويصبح فى هم وتذكار
اطلق وثاقى ولا تبخل على بها ... فان فعلت فانى غير كفار

ثم قال ياأمير المؤمنين لو اعطيتنى الخلافة ماأخذتها دون سعاد وانشد يقول

أبى القلب الا حب سعاد وبغضه ... على نساء مالهن ذنوب

فقال له معاوية أنت مقر على انك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخيرها فان اختارت سواك تزوجناها وان اختارتك حولناها اليك فقال فعل فقال ماتقولين ياسعاد أيهما احب أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره وسلطانه وأمواله وما ابصرتيه عنده أومروان بن الحكم فى عسفه وجوره أو هذا الاعرابى فى جوعه وفقره فانشدت

هذا وان كان فى جوع واضرار ... أعز عندى من قومى ومن جارى
وصاحب التاج أو مروان عامله ... وكل ذى درهم عندى ودينار

والله ياأمير المؤمنين ماأنا بخازنة لحوادث الزمان وغدرات الايام وان له صحبة قديمة لاتنسى ومحبة لاتبلى وأنا احق من لن أجد معه فى الضراء كما تنعمت معه فى السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها وموافاتها فدفع لها العشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابى وأخذها وانصرف

(وروى) ان معاوية خرج يوما حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا جزيله ولم يحضر الحسن بن على فلما حضر قال له معاوية مرحباً مرحباً برجل

تركنا حتى نفذ ماعندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال الحسن رضى الله عنه كيف ينفذ ماعندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له قد أمرت لك بمثل ماأمرت به لاهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا بن فاطمة الزهراء

وقيل ان معاوية جلس يوما مع أصحابه اذ اقبلت قافلتان فى البريه فقال لبعض ما كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم وأتونى بخبرهم فمضوا وعادوا وقالوا ياأمير المؤمنين احداهما من اليمن والاخر من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشا ياتونا واما أهل اليمن فينزلون فى أماكنهم الى ان نأذن لهم فى الدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال أتدرون ياأهل قريش لم اخرت أهل اليمن وقربتكم قالوا لاقال لانهم لم يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ماليس فيهم وانى أريد اذا دخلوا غداً وأخذوا أماكنهم من الجلوس ان اقيم فيهم نذيراً والقى عليهم من المسائل ماأبل به اكرامهم وأرخص به مقامهم وكان المقدم عليهم رجلا يقال له الطرماح بن الحكم الباهلى فاقبل على أصحابه وقال أتدرون ياأهل اليمن لم أخركم وقدم ابن هند قريشا قالوا لا قال لانه فى غداء غد يقوم فيكم نذيراً ويلقى عليكم من المسائل مايقل به اكرامكم ويرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه وأخذتم اماكنكم من الجلوس وسالكم عن شىء فلايجيبه احد غيرى فلما كان من الغد دخلوا عليه واخذوا اماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه وقال أيها الناس من تكلم بالعربية قبل العرب وعلى من انزلت العربية فقام الطرماح وقال نحن يامعاوية ولم يقل ياأمير المؤمنين فقال لماذا فقال لانه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كانه ارسل الله تعالى العربية على لسان العرب بن قحطان الباهلى وهو جدنا فقرأ العربية وتناولها قومه من يومه الى هذا فنحن يامعاوية عرب بالجنس وأنتم عرب بالتعليم فسكت معاويه زمناً ثم رفع رأسه وقال ايها الناس من اقوى العرب ايمانا ومن شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يامعاويه قال ولم قال لان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونا فاويناه ونصرناه فأنزل الله (والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً) وكان النبى صلى الله عليه محسناً لنا متجاوزاً عن سيئاتنا

فلما لم تعمل أنت كذلك كانك خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت ثم رفع رأسه وقال أيها الناس من افصح العرب لسانا ومن شهد بذلك فقال الطرماح نحن يامعاوية قال ولم ذلك قال لان أمرأ القيس بن جعفر الكندي قال في بعض قصائده

يطمعون الناس غباء في السنين الممحلات في جفان كالجوابي وقدور راسيات وقد تكلم بالفاظ جاء مثلها في القرآن وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال فسكت معاوية زمناً وقال أيها الناس من أقوى العرب شجاعة وأذكروا من شهد له بذلك قال الطرماح نحن يامعاوية قال ولم ذلك قال لان منا عمرو بن معديكرب الزبيدي كان فارسا في الجاهلية وفي الاسلام شهد له بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال معاوية واين أنت وقد أتى به مصفداً بالحديد فقال له الطرماح ومن أتى به قال معاوية اتى به علي قال الطرماح والله لو علمت مقداره سلمت اليه الخلافة ولاطمعت فيها ابداً فقال له معاوية اتحجني ياعجوز اليمن قال نعم احجك ياعجوز مصر لان عجوز اليمن بلقيس آمنت بالله وتزوجت بذتها سليمان بن داوود عليه السلام وعجوز مصر جدتك التي قال الله في حقها (وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) قال فسكت معاوية زمناً ثم رفع رأسه وقال جزاك الله خيراً من صاحب واعطاه وأحسن اليه انتهى

(حكاية أجنبيه عن المقام) يحكى ان بهرام لما تولى الملك بعد أبيه اقبل على اللهو واللذات والتنزه والصيد ولم يفكر في ملكه ولا في رعيته حتى خرجت البلاد من يده وخربت في ايامه وخلت بيوت الاموال ففي بعض الايام ركب الى بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت الليلة مقمرة فدعا بالموذبان وهو عند المجوس كالحاخام عند اليهود والقسيس عند النصارى لامر خطر بباله فجعل يحادثه فتوسطا في سيرهما بين خرابات كانت امهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لاانيس فيها الا اليوم واذا ببوم يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام اترى ان احد من الناس اعطى فهم لغة هذا الطائر المصوت في الليل فقال الموبذان ايها الملك انا ممن خصصه الله بذلك قال فماذا يقول هذا الطائر ومايقول الطائر للآخر فقال هذا بوم ذكر يخاطب

بومه ويقول لها متعيني بنفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله ويبقى
لنا في هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فقالت ان الذى تدعونني اليه لى فيه
الحظ الاكبر والنصيب الاوفر فى العاجل والآجل الا أنني اشترطت عليك
خصالا ان أطعتها أجبت الى ذلك فقال لها (الذكر) وما تطلبينه مني قالت أن
تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما خربت فى أيام هـذا الملك
السعيد فقال له الملك فا الذى قال لها (الذكر) قال من قوله لها اذا دامت أيام هذا
الملك السعيد أعطيك منها الف برية خراب فما تصنعين قالت فى اجتماعنا يحصل
ظهور النسل وكثرة الذكور فتقطع لكل ولد من أولادنا ضيعة من هذه الخرابات
فقال لها الذكر هذا اسهل أمر سألتنيه وأنا ممتلىء بذلك ماحيا هذا الملك فلما سمع
هذا الكلام من الموبذان تأثر من نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب
به فنزل من ساعته ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذان فقال أيها القائم بامر الدين
الناصح للملك والمنبه له عما اغفله من أمور ملكه واضاعة بلاده ورعيته ماهذا
الكلام الذى خاطبتني به فقد حركت مني ما كان ساكناً فقال صادقت من الملك
السعيد وقت سيد العباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموعظه على لسان الطائر
عند سؤال الملك اياى عما سأل فقال له الملك أيها الناصح اكشف لى عن هذا الغرض
وما المراد منه فقال أيها الملك ان الامر لايتم الا بالشريعة والقيام لله بطاعته ولا
قوام للشريعة الا بالملك ولا عز الملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا
سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل وهو الميزان المنصوب بين
الخليقة نصبه الرب جل وعلا وجعله قيما وهو الملك فقال اما ماوصفت فحق فابن
لى عما اليه تقصد وأوضح لى فى البيان قال نعم انك عمدت الى الضياع فانظمتها
بالخدم وأهل البطالة فعمدوا الى ماتعجل من غلاتها فاستعجلوا من المنفعة وتركوا
العمارة والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع وسوحوا فى الخراج لقربهم من
الملك ووقع الحيف على الراعية فانجلوا عن ضياعهم وهلكت الجنود والرعية
وطمع فى ملك فارس من طاف بهـا من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التى
بسببها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك اقام فى منزله ثلاث أيام واحضر

الوزاء والكتاب وأرباب الدواوين فانتزعت الضياع من أيدى الخاصة والحاشية وردت أربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا فى العمارة وتقوى من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واختصبت وكثرت الاموال عند الجبابرة وتقويت الجنود وانقطعت موادالاعداء وأقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت أيامه بعده تدعى بالاعياد لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل

ومما يحكى عن الاصمعى أنه قال دخلت البصره أريد بادية بنى سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسرى فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذى جمال وكمال وأدب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزه عليه سكينة ووقار فقدموا الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة فى منازلنا فنظر اليه فأعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم ادناه منه وسأله عن قصته فقال له ما حملك على ذلك وأنت ذو هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملنى الشره فى الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك أمك اما كان لك فى جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن السرقة قال دع عنك هذا أيها الامير وأنفذ ما أمرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداى (وما الله بظلام للعبيد) فسكت خالد ساعة يفكر فى أمر الفتى ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك على رؤوس الاشهاد قد رابنى وأنا ما أظنك سارقا وان لك قصة غير السرقة فاخبرنى بها فقال ايها الامير لا يقع فى نفسك سوى ما اعترفت به عندك وليس لى قصة اشرحها لك الا انى دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا فادركونى وأخذوه منى وحملونى اليك فأمر خالد بحبسه وأمر مناديا ينادى فى البصرة كل من أحب ان ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتى فى الحبس ووضع رجليه فى الحديد تنفس الصعداء ثم انشد يقول

هددنى خالد بقطع يدى ... أنا لم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بها ... تضمن القلب من محبتها
قطع يدى بالذى اعترفت به ... أهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون فاتوا خالداً وأخبروه بذلك فلما جن الليل أمر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه اديباً عاقلا لبيبا ظريفا فاعجب به وأمر له بطعام فاكلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان غداً وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فانكر واذكر فيها شبهات تدرأ عنك القطع لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرؤا الحدود بالشبهات ثم أمر به السجن فلما أصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتى فاقبل يحجل فى قيوده ولم يبق أحد من النساء الا بكى عليه وارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب فامر بتسكيت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا أيها الامير دخلت دارهم وسرقت مالهم فقال خالد لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال فلعلك شريك القوم فى شىء منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لى فيه فغضب خالد وقام بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء أن يعطى مناه ويابى الله الا ماأراد

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبرزت جارية من صف النساء وعليها ازار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم كشفت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها ناشدتك الله أيها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم وضعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هى مكتوب فيها

أخالد هذا مستهام متيم رمته لحاظ من قسى الحمالق
اقر بما لم يقترفه لانه رأى ذاك خيراً من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه كريم السجايا فى الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى وانعزل عن الناس واحضر المرأة ثم سألها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهى له كذلك وانه أراد زيارتها وان يعلمها مكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع أبوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فاخذوه وقالوا هذا سارق وأتوه الك

فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لا يفضحنى بين اخوتى وهان عليه قطع يده لكى يستر على ولا يفضحنى كل ذلك لغزارة مروءته وكرم نفسه فقال خالد أنه خليق ثم استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وأمر باحضار أبى الجاريه وقال له ياشيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم فى هذا الفتى بالقطع وان الله عصمنى من ذلك وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض بنتك وصيانته بكما من العار وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وأنا اسألك ان تأذن لى فى تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت أيها الامير بذلك قال فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت هذا التزويج وأمر بحمل المال الى دار الفتى مرصوصا فى الصوانى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق أحد فى سوق البصره الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا الى منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعى فما رأيت يوما اعجب منه أوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح (وهذه حكاية تشابه ما تقدم) قال حماد الراويه كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ أتى بشاب حسن الوجه ومعه جاريه كأنها قضيب بان فقال صاحب الشرطه أصلح الله الامير انى وجدت هذه وهذا مجتمعين فى خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ماتقول صدق ولقد طال والله بها غرامى منذ ثلاث سنين والله ما مكننى الخلوة بها الا فى هذا الوقت وأنشد يقول : —

تمنيت من ربى افوز بقربها   فلما تهيأ لى المنا عاقه السر
فوالله بل والله ما كان ريبة   وما كان الا اللفظ والضحك والبشر
فدونكم جلدى ولا تجلدونها   فكم من حرام كان دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكى بكاءاً شديداً فقال لها وأنت لم تبكى فقالت والله شفقة بما حل به وكيف بلينا بهذه البلية قال اتحبينه قالت فلم غررت بنفسى قال لها أنت حره أم مملوكه فأمرها فدخلت الدار وأحضر مولاها فاشتراها منه بمائة دينار واعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها فانشد الفتى يقول

لقد جدت ياابن المكرمين بنعمة　　جمعت بها بين المحبين فى ستر
فلا زلت بالاحسان كهفا وملجأ　　وقد جل منك ماكان عن الشكر

ومما يحكى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف اذا ورد عليك كتابى هذا وقرأته فسير لى ثلاث جوار مولدات نهداً أبكارا يكون اليهن المنتهى فى الجمال واكتب بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين ثم أمرهم بما امر به امير المؤمنين وأمرهم ان يغوصوا فى البلاد فغاصوا حتى وقعوا على الغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار نهداً بكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقومن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلنى كتاب أمير المؤمنين متعنى الله تعالى ببقائه يأمر فيه ان اشترى له ثلاث جوار مولدات نهدا بكارا وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها ما الجارية الاولى اطال الله بقاء أمير المؤمنين فانها لطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العين حمراء الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهى كما قيل

بيضاء فى طرفها دعج يزينها　　كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها ياأمير المؤمنين ثلاثون الف درهم . واما الجارية الثانية فانها فائقة فى الجمال معتدلة القد والكمال يشفى السقيم من كلامها الرخيم وثمنها ياأمير المؤمنين ثلاثون الف درهم . وأما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكهف عظيمة الردف شاكرة للعليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف غزال وثمنها ثلاثون الف درهم وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى لامير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير انى رجل كبير وضعيف على السفر ولى ولد ينوب عنى افتأذن لى ان اجهزه قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففى بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا فى بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت ريح فانكشفت احداهن وهى الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوبا فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا

ففتن بها الساعة فاتاها على غفلة وجعل يقول

امكتوم عيني لايمل من البكا وقلبي باسهام الأسى يتمزق
امكتوم كم من عاشق قتل الهوى وقلبي رهين كيف لا أنمشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ماتقول لزرتنا ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انقض ابن النخاس بسيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنظر قدومه ناخذها وأراد الهرب بها فنطن أصحابه فأخذوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسوراً معهم الى ان قدموا الى عبد الملك فلما قدموا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب وقرأه فوجد الصفة موافقة فى اثنين ولم توافق فى الثالثة ورأى بوجهها اصفراراً وهى الكوفية فقال للنخاسين مابال هذه الجارية لم توافق الصفة التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفر الذى بها وهذا الانتحال فقال ياأمير المؤمنين نقول وعلينا الامان فقال ان صدقتم آمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين وأخبروه بما فعل بكى بكاءً شديداً وأيقن بالعذاب ثم انشد يقول

أمير المؤمنين اتيت رغماً وقد شدت الى عنقي يديا
مقرا بالقبيح وسوء فعلي ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبي وان تعفو فمن جود عليا

فقال يافتى ماحملك على ما فعلت استخفافاً بنا أم هوى للجاريه قال وحقك ياأمير المؤمنين وعظيم قدرك ماهو الا هوى بالجاريه فقال وهى لك بما أعد لها فأخذها الغلام بما أعده لها أمير المؤمنين من الحلى والجمال وصار بها فرحا مسرورا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا نتعانقها فلما أصبح الصباح وأراد الناس الرحيل مروا عليهما فوجدوهما ميتين فبكى عليهما ودفنوهما فى الطريق ومضى خبرهما الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك

(وحكى) عن عبد الله بن معمر القيسى أنه قال حججت سنة الى بيت الله

الحرام ولما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما ذات ليلة بين القبر والروضه اذ سمعت أنيناً عالياً وحنيناً باديا فأنصت اليه فاذاهو يقول هذه الابيات

أشجاك نوح حمائم السدر   فاهجن منك بلابل الصدر
ام عز نومك ذكر غانية   اهدت اليك وساوس الفكر
ياليلة طالت على دنف   يشكو الغرام وقلة الصبر
اسلمت من يهوى لحر جوى   متولد كتولد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف   ومغرم بحبيب يشبه البدر
ما كنت احسبني بها شجنا   حتى بليت وكنت لاأدرى

(قال) ثم انقطع الصوت ولم ادر ماجاءني فبقيت حائراً واذا به قد اعاد البكاء والحنين وانشد يقول هذه الابيات

اشجاك من رؤيا خيال زائر   والليل اسود للدوائب عاكر
واعتاد مقتلك الهوى بدسيسة   واهتاج مقتلك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كأنه   يم تلاطم فيه بحر زاخر
والبدر يسرى فى السماء كانه   ملك ترحل والنجوم عساكر
ياليل طلت على محب ماله   الا الصباح مساعد ومؤازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن   ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الابيات اؤم الصوت فما انتهى الى آخر الابيات الا وأنا عنده فرأيته غلام خط عذاره وقد حرق الدمع فى وجنتيه حرقتين فقلت نعمت غلاما قال وأنت فمن الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسى قال أليك حاجة قلت له كنت جالساً فى الروضة فما راعنى هذه الليلة الا صوتك فبنفسى افديك ماالذى تجده قال اجلس فجلست قال أنا عتبة بن الحباب بن المنذر ابن الجموح الانصارى غدوت الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجداً ثم اعتزلت غير بعيد فاذا بنسوة يتهادين كالاقمار فى وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت على وقالت ياعتبة ماتقول فى وصل من يطلب وصلك ثم تركتنى وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا وقفت لها على أثر فانا حيران انتقل

من مكان الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت ديباجتا خديه بورس ثم انشد يقول هذه الابيات

أرا كم بقلبي من بلاد بعيدة   ترى هل تروني بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم   وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست الذ العيش حتى أراكم   ولو كنت في الفردوس أوجنة الخلد

قال فقلت له ياابن أخي تب الى ربك واستغفر عن ذنبك فان بين يديك هول المطالع فقال هيهات ماأنا بسائل حتى يؤب العارضان ولم أزل به حتى طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتى صلينا الظهر واذا بنسوة قد اقبلن واما الجاريه فليست فيهن فقلن ياعتبة ماظنك بطالبة وصلك وكاشفة مابك قال أومابالها قلن أخذها أبوها وارتدا الى السماوة فسألتهن من الجارية فقلن هي رية بنت الغطريف السلمى فرفع رأسه وانشد يقول

خليلي ريا قد اجد بكورها   وسار الى ارض السماوة عبرها
خليلي انى قد عيت عن البكا   فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له ياعتبة انى وردت بمال جزيل اريد به أهل الستر والله لابذلنه امامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا قم بنا الى مسجد الانصار فقمنا حتى أشرفنا على مائهم فسلمت وأحسنوا الرد ثم قلت أيها الملاء وأماتقولون في عتبة وأبيه من سادات العرب قلت فانى مرمى بداهية من الهوى فاريد منكم المساعدة الى السماوة قالوا سمعاً وطاعة وركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على منازل بنى سليم فاعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادراً واستقبلنا وقال حييتم باكرام قلنا وأنت حييت أنا لك أضياف فقال نزلتم باكرم منزل ثم نادى يامعشر العبيد ففرشت الانطاع والنمارق وزبحت النعم والغنايم فقلنا لسنا بذائقين طعامك حتى تقضى حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا بخطاب ابنتك الكريمة لعتبة بن الحباب أبن المنذر المعلن المفخر الطيب العنصر فقال ياأخي ان التى تخطبونها أمرها الى نفسها وأنا ادخل وأخبرها ثم نهض مغضباً فدخل الى ريا فقالت ياابت مالى أرى الغضب بين عينيك فقال وردلى قوم من انصار يخطبونك منى فقالت سادات كرام استغفر لهم النبي صلى الله

عليه وسلم من الخطبة فيهم قال الفتى يعرف بعتبه بن الخباب قال سمعت عن عتبة هذا أنه يفي بما وعد ويدرك ما طلب قال اقسمت لازوجك به ابداً فقدتما الى بعض حديثك معه قالت ما كان ذلك ولكن اقسمت انى ما ازوجك به قالت أحسن اليهم فان الانصار لا يردون رداً قبيحا فأحسن الرد باى شيء قالت اغلظ عليهم المهر فانهم يرجعون قال أحسن ماقلت ثم خرج مبادراً فقال ان فتاة الحى قد أجابت ولكن أريد لها مثل مهرها فمن القائم به قال عبد الله أنا فقال أريد لها الف أسورة من ذهب احمر وخمسة آلاف درهم من ضرب هجراً ومائه ثوب من الابراد والحبر وخمسة أكرشة من العنبر قال قلت لك ذلك فهل اجبت قال اجل فانفذ عبد الله رجل من الانصار الى المدينة المنوره فاتوا بجمع ماضمنه وذبحت الغنم واجتمع الناس لأكل الطعام قال فاقمنا على هذا الحال أربعين يوما ثم قال خذوها لكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف وانصرف وسرنا حتى اذا بقى بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغاره واحسب أنها من بنى سليم فحمل عليها عتبه بن الخباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعاً وبه طعنة ثم سقط الى الارض واتتنا النجدة من مكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبه نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعتنا الجارية تقول واعتبتاه فالقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه وصارت تصيح وتقول

تصبر لا انى صبرت وانما اعلل نفسى أنها بك لاحقة
ولو انصفت روحى لكانت الى الردى امامك من دون البرية سابقة
فما أحد بعدى وبعدك منصف خليلا ولا نفس لنفس موافقة

ثم شهقت شهقة قضت نحبها واحتفرنا لهما قبراً واحدوواريناهما التراب ورجعت الى ديار قومى واقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز وأردت المدينه المنورة للزيارة فقلت لاعوذن الى قبر عتبه فاتيت الى القبر فاذا شجرة عليها غصائن حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل مايقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليله وانصرفت وكان آخر العهد به

(ومثل ماتقدم من العشق ماورد فى كتمان الهوى مع تحقق النظر عند أعلانه)

ماحكى عن بعض المغرمين من ذوى النعم قال بينما أنا فى منزل اذ دخل على خادم لى ومعه كتاب فقام رجل بالباب ودفع الى الكتاب ففتحه فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء ونلت خيرا ونجاك المليك من الهموم
فعندك لو منت شفاء نفسى وأعضاء ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله قلت للخادم ائتنى به فخرج فلم ير أحدا فتعجب من أمره وأحضرت الجوارى كلهن من يخرج منهن وسألتنى عن ذلك فحلفن أنهن لايعرفن من حديث هذا الكتاب شيئاً فقلت أنى لم افعل ذلك بخلا بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهى هبة منى له بما لها ومائة دينار وكتب جوابه وشكره على ذلك وسأله قبولها ووضعت الكتب فى جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيئاً فليأخذه فمكث الكتاب والذهب أياما لايأخذه أحد فغمنى ذلك هذا قنع ممن يحبه بالنظر فنمت من يخرج من جوارى من الخروج فما كان الا يوما أو بعض يوم اذ دخل على الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض أصدقائهم بعث به اليك فقلت اخرج وآتنى به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه

ماذا أتيت الى روح معلقة عند التراقى وحادا الموت حاديها
جنئت حاديها ظالما فجذبها فى السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لوقيل لى تأتى بفاحشة وان عفا بك دنيا وما فيها
لقلت لا والذى أخشى عقوبته ولو باضعاف ما كنفت أماقيها
لولا الحياة لبحنا بالذى سكنت بين الفؤاد وأبدينا أمانيها

قال فغمنى أمره فقلت للخادم لايأتيك أحد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحج فبينما أنا قد أفضت من عرفة واذا بفتى الى جانبى على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورجعت به فقال أتعرفنى فقلت وما نكرك بسوء فقال أنا صاحب الكتابين فانكببت عليه فقلت يأخى لقد غمنى أمرك وأقلقنى كتمانك لنفسك وأوهبت لك طلبك ومائة دينار فقال بارك الله لك انما أتيتك مستحلا من نظر كنت أنظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك وللجاريه فسر معى الى منزلى لاسلمها اليك ومائة

دينار ومثلها فى كل سنة فقال لاحاجة لى بذلك فالحت عليه فلم يفعل فقلت له اما اذا أبيت فعرفنى من تغنى من الجوارى لا كرمها من اجلك ماحييت فقال ما كنت لاسميها لاحد وودعنى وانصرف وكان آخر العهد به اه

(وحكى) أن الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقى اعرابيا ياوجه العرب كيف الحجاج قال ظالم غاشم. قال له هلا شكوته الى عبد الملك بن مروان قال اعلم واغشم عليهما لعنة الله فبينما هو كذلك تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابى أنه الحجاج فقال الاعرابى أيها الامير السر الذى بينى و بينك لايطلع عليه أحد الا الله فابتسم الحجاج وأحسن اليه وانصرف (وذكر) أهل التاريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفى سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطه فقال ياخالد ائتنى بمحدث المسجد والناس اذ ذاك يطلبون المقام فى المسجد فانتهى الى شاب قائم يصلى فجلس حتى سلم ثم قال أجب الامير قال أبعثك الامير قاصداً قال نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف أنت ومحادثة الامير قال سيجد كما تحب ان شاء الله فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل تروى شيئاً من الشعر قال له مامن شاعر الا واروى عنه قال فهل تعرف من أنساب العرب ووقائعها قال لايذهب عنى شيء من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما أحب حتى أذن لهم بالانصراف قال ياخالد مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفه وأربعة آلاف درهم فقال أصلح الله الامير هلك والدى وأنا طفل صغير فنشات فى حجر عمى وله ابنته اسبى وكان فى التصابى من الصبا وما كنا فيه أعجوبة حتى اذ بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها و بذلوا أموالا لجمالها وكمالها فلما رأيت ذلك خامرنى السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت الى خابية عظيمة فملاتها رملا وصخرا وقيرت رأسها ودفنتها تحت فراشى فلما تم على ذلك أيام بعثت الى عمى فقلت ياعمى أنى كنت أريد السفر فوقعت على مال عظيم وخفت أن أموت ولا يعلمه أحد فان حدث بى أمر فاخرجه وأعتق عنى عشر نسمات وأحجج عنى عشر حجج وجهز عنى عشر رجال بخيولهم وأسلحتهم وتصدق عنى بالف دينار ولا تبال ياعم فان المال كثير فلما سمع عمى مقالى أتى امرأته فاخبرها بقولى فما كان

اسرع من أن أقبلت بجوارها حتى دخلت فوضعت يدهـا على رأسي وقالت والله ياابن أخي ماعلمت بسقمك وماحل حتى أخبرني أبوفلان الساعة وأقبلت تلاطفني وتعالجني بالادوية وحملت الى لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رأيت ذلك تجملت ثم بعثت الى عمي أن الله عز وجل قد أحسن الي وعافاني فابتع لي جارية من خصالها وكمالها كيت وكيت ولا يسألونك شيئاً الاأعطيته فقال ياابن أخي مايمنعك من ابنة عمك فقلت هي من أعز خلق الله تعالى على أني قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا أن الامتناع كان من قبل امنا وهي الآن سمحت ورضيت بذلك فقلت شأنك فرجع الى امرأته فاخبرها بقولي فجمعت عشيرتها فزوجوني اياها فقلت عجل على بابنة عمي كيف شئت ثم اريك الخابية فاهديت الي ولم تدع شيئا باشراف النساء الا فعلته ثم زفت ابنتها على واحضرتها بـكل ماوجدت اليه سبيلا واخذ عمي من التجارة متاعا بعشرة آلاف درهم وكان ياتينا في كل صباح من قبل ابويها لطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بايام اتاني عمي وقال يابن اخي انا قد اخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا صابرين على حبس الثمن قلت شأنك والخابية فمر مسرعا حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا عليها الى منزله فلما فتحها كان فيها ماعلمت فما كان باسرع من ان جاءت أمه بجواريها فلم تدع في منزلي كثيراً ولا قليلا الا حملته فبقيت مهانا على الارض وحفتنا كل الجفاء فهذا حالي أصلح الله الامير فانا من خجلي وضيق صدري آوي الى المساجد فقال الحجاج ياخالد مر للفتى بثياب ديباج وفرس ارمنيه وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم وقال يافتي أعد الى خالد غداً حتى تستوفي منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج قال فلما انتهيت الى باب داري سمعت ابنة عمي تقول ليت شعري ماأبطىء ابن عمي أقتل أم مات أم عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت ياابنة عمي ابشري وقري عينا فاني دخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ماكان من أمري فلما سمعت الفتاة مقالتي لطمت وجهها فسمع أبوها وامها واخواتها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ماشأنك فقالت لابيها وصل الله رحمك ولا جزاك عني وعن ابن أخيك خيرا

جفوته وضيعته حتى اصابته الخفة وذهب عقله اسمع مقالته فقال العم يا ابن أخي ماحالك فقلت والله مابي من بأس الا اني دخلت على الحجاج وذكر له من أمره ما كان وانما أمر له بمال جزيل فقال العم لماسمع مقالته هذه صفراء مره فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما أصبحوا بعثوا الى المعالج فجعل يعالجه يسعطه مره ويسهله أخرى فيقول الفتى والله مابي من باس وانما أدخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيده الا بلاء كف عنه وعن ذكره ثم قال له ماتقول في الحجاج قال مارأيته ثم خرج المعالج فقال لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لاتعجلوا بحل قيده فبقي الفتى مقيداً مغلولا فلما كان بعد أيام ذكره الحجاج فقال ياخالد مافعل بالفتى فقال أصلح الله الامير مارأيته منذ خرج من حظيرة الامير قال فابعث اليه أحد قال فبعث اليه خالد حرسيا فمر الحارسي على عم الفتى فقال له مافعل ابن أخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن أخي لفي شغل عن الحجاج قد ابتلي ببلاء في عقله قال لا أدري ماتقول لابد من الذهاب به الساعة فدخل عليه العم فقال يا ابن أخي ان الحجاج قد بعث في طلبك أنا احلك قال لا الا بين يديه فحمله في قيوده وغله على ظهور الرجال حتى أدخل على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله وقال أصلح الله الامير ان آخر امري أعجب من اوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج بحديثه فعجب الحجاج وقال ياخالد أضف للفتى ما كنا قد امرنا له فقبض المال أجمع وأحسن حاله ولم يزل مسامراً للحجاج حتى مات (وحضر) اعرابي عند الحجاج فقدم له الطعام فاكل الناس ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى اكل منها لقمة ثم قال من اكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من اكلها وبقي الاعرابي ينظر الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال أيها الامير أوصيك باولادي خيراً ثم اندفع يا كل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وأمر له بصلة (وحكى) ان الحجاج أمر صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء يضرب عنقه فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر الشراب فاحاط بهم وقال لهم من أنتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

أنا ابن من دانت الرقاب له   مابين مخزومها وهاشمها
تأتى اليه الرقاب صاغرة   يأخذ من مالها ومن دمها

فمسك عن قتله وقال لعله من اقارب أمير المؤمنين وقال الثانى

أنا ابن الذى لاينزل الدهر قدره   وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى النار افواجا الى سوق ناره   فمنهم قياما جولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من اشراف العرب وقال الثالث

انا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه
وقومها بالسيف حتى استطالت
ركابه لاتنفك رجلاه منهما   اذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

فامسك عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما رفع امرهم الى الحجاج فاحضرهم وكشفا عن حالهما فاذا الاول ابن حجام والثانى ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا اولادكم الادب والله لولا الفصاحة لضربت اعناقهم ثم اطلقهم وانشد

كن ابن من شئت واكتسب ادبا   يغنيك محموده يوما عن النسب
ان الفتى من يقول هاانا ذا   ليس الفتى من يقول كان ابى

(وحكى) ان هند بنت النعمان كانت احسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى الف درهما ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعره وكانت هند فصيحه اديبه فاقام بها الحجاج بالمعره مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها فى بعض الايام وهى تنظر فى المرأة وتقول

وما هند الامهرة عربية   سلالة أفراس تحللها بغل
فان ولدت خلا فلله درها   وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله ابن طاهر وأنفذها معه مائتى الف درهم وهى التى كانت لهـا عليه وقال ياابن طاهر طلقها بكلمتين لم وتزد عليها

فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك محمد أبو الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا الف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر أنا والله كنا حمدنا ثم بنا فما ندمنا وهذه المائتا الف هى لك بشارتك بخلاصى من كلب ثقيف ثم بعد ذلك أمير المؤمنين عبد الله بن مروان أخبروه بها ووصف له جمالها فارسل اليها خطبها لنفسه فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين ان الكلب ولغ فى الاناء فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين انى لا اجرى العقد الا بشرط فان قبلت الشرط اقول ان يقود الحجاج جملى من المعرة الى بلدك التى أنت فيها ويكون ماشيا حافياً بحليته التى فيها أولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديداً وارسل الى الحجاج يامره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وأرسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهيز فجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت فى محمل وركب حولها جواريها وخدمها فترجل الحجاج وهو حاف وأخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فاخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم أنها قالت لدايتها يادايتى اكشفى لى ستار المحمل لاشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها فى وجهه فضحكت عليه فانشد يقول

فان تضحكى ياهند يارب ليلة تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته وماتبالى اذا أرواحنا سلمت بما فقدناه من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والعز مرتجع اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت الى بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها ديناراً على الارض وقالت ياجمال أنه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا ديناراً فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله منه

ديناراً فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على الملك بن مروان فتزوج بها وعاش الحجاج بعدها خمس عشر يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين والله أعلم

(خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان)

كان يختم فى القرآن فى ثلاث وكان يختم فى رمضان سبعة عشر ختمة قال ابراهيم بن عليه كان يعطينى أكياس الدنانير اقسمها فى الصالحين وكان يقول لولا ان الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه العزيز ماظننت ان أحد يفعله قال الحافظ بن عاكر قال الوليد عند أهل الشام افضل من خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفوض للمخدومين ما يكفيهم وقال لاتسألوا الناس واعطى كل مقعد خادم وكل اعمى قائداً وذكر ان جملة ماانفق على المسجد الاموى اربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناؤه الا أخوه سليمان لما ان ولى الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لما ادرج فى اكفانه غلت يداه الى عنقه فنسأل الله العفو والعافية

(خلافة سليمان بن عبدالملك بن مروان)

(مما) يذكر من محاسنه ان رجل دخل عليه وقال ياأمير المؤمنين انشدك الله والا اذن فقال لسليمان اما أنشد الله فقد عرفناه فما الاذن قال قوله تعالى (فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين) فقال سليمان ماظلمتك قال ضيعى الفلانية غلبنى عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال لا والله لاارفع خدى من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض وما سمع كلام ربه الذى خلقه وخول له فى نعمه خشى من لعن الله وطرده من رحمة الله (وقيل) انه اطلق من سجن الحجاج ثلثمائة الف نفس ما بين رجل وامرأه وصادر آل الحجاج واتخذ بن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً مسيرا وكان شرها فى الاكل نكاحا (وقيل) انه كان يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامى قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح

خلافته بخير وختمها بخير ففتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه (وقال) أبى سويد الاسود قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان متاف قد أثمر واينع على رأسه وصائف كل واحد منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك ايها الامير وكان مطرقا فرفع رأسه وقال ياابا زيد فى مثل هذا الحين تصالحنا فقال أصالح الله الامير وقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال ياابا زيد ما يطيب فى يومنا هذا قلت أعز الله الامير قهوه حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غاده هيفاء ملفوفة لنا أشربها من كفها وامسح فى خدها فطرق سليمان مليالا يريد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلاشهيق فلما رأينا الوصائف ذلك تنحين ثم رفع رأسه فقال ياابا زيد حضرت فى يوم انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك ولتخبرنى ما انا وهذه الصفة من لبك قلت نعم ايها الامير كنت جالسا على باب أخيك سعد بن الملك فاذا بجاريه قد خرجت من باب القصر كانها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قيص سكب اسكندرانى يظهر منه بياض ثديها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صرار ان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعاليها بذؤابتين تضربان حقويها ولها صدغين كانهما نونان وحاجبين قد تقوسا على محاجر عيناها مملوءتان سحرا وأنف كانه قصبة بلور وفم كانه جرح يقطردما وهى تقول عباد الله من لى بدواء من يسلو وعلاج من لا يسمو طال الحجاب وابطا الجواب فالقلب طائر والعقل غارب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلد وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيله والى العزاء سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت مليا ورفعت رأسها فقلت أيتها الجارية أنسيه أنت أم جنيه سماويه ام أرضيه فقد أعجبنى ذكاء عقلك وأذهلنى حسن فعلك فسترت وجهها بكفها كانها لم ترنى

ثم قالت أعذر ايها المتكلم فما اوحش مساعد بلا مساء والمقاسات لصب معاند ثم انصرفت فوالله أصلح الله الامير ما اكلت الا غصصت به وما رأيت حسنا الا سمح في عيني لحسنها فقال سليمان ياابا زيد كاد الجهل يستغزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني اشجو ما اعلم يا ابا زيد ان تلك الجاريه التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

كانما الذلفاء ياقوتة اقد أخرجت من كيس دهقان

وشراؤها علي يا اخي بالف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله أن مات انما يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوه وفي توقع الموت هيبه قم يا ابا زيد في دعة الله ياغلام ثقله بيده فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء فامر بفسطاط فاخرج على ذهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مؤثنة زمراء حدائق بهجة تحتها من انواع الزهر من أصفر فاقع واحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يانس واليه سكن فامره أن يضرب فسطاسه بالقرب منه فكانت الذلفاء قد خرجت مع سليما الى ذلك المنتزه فلم يزل في اكل وشرب وسرور واتم حبور الى أن انصرف شيء من الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان أيضا فنزل جماعه من اخوانه فقالوا له تريد قرى أصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب قال اما الاكل والشرب فما حان واما السما فقد عرفتم غيره امير المؤمنين ونهيه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجه لنا بطعامك وشرابك ولم تسمعنا قال فاخذوا صوت واحد أغنيكوه قالوا غننا بصوت كذا وكذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها من آخر الليل لمانيه السحر
في ليلة القدر مايدري مضاجعها أوجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوت حراس ولا غلب فدمعها الطوق مثل الصوت ينحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم وكان من لينها للمشي ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط فجعلت تسمع شيئاً من حسن خلق ولطافة الا رأت ذلك كله في نفسه أو هيئتها

فخرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فتنبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها

الا يارب شخص رائع ومشوه تبيح المحيا واضح الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله الى أمه يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا المحال فوالله لقد خبار الملك منه ياغلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت له أن سبقت رسول أمير المؤمنين الى بسنان فحذره فلك عشرة الاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين فلما آتى به قال ياسنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حماني وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين ان يعفو عني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن علمت ان الفرس اذا صهل دقت له الحجر وان الفحل اذا هدر طيعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى صغت اليه المرأة واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهى (وقيل) كان لسليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني اسد كانت له مروءة عامرة ونعمة وحسنة وفضل وبر بالى وخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذى كان يتفضل عليهم وكان واساهم فواسوه حيناً ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال يا ابنة عمى قد رأيت من اخوانى تغيراً وقد عزمت على ان الزم بيتى الى أن أموت فاغلق بابه واقام يتقوت بما عنده حتى نفذ وبقى حائراً وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعى متولى الجزيرة وانما سمى بذلك لاجل كرمه فبينما هو فى مجلسه اذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفياض ما حاله فقالوا قد صار الى أمر لا يوصف وانه اغلق بابه ولزم بيته قال وتوجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا فقالوا له فامسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى اربعة آلاف دينار وجعلها فى كيس وخرج سرا من اهله ومعه غلام يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمه فناوله الكيس وقال اصلح بهذا شأنك فتناوله فوجده ثقيلا فاضعه على رأسه ثم أمسك بلجام الدابة وقال له من أنت جعلت فداك قال له عكرمه ياهذا جئتك فى هذا الوقت

والساعه وأريد أن تعرفنى قال فما أقبله الاان عرفتنى من أنت فقال انا جابر
عثرات الكرام قال زدنى قال لا ثم مضى ودخل خزيمه بالكيس الى ابنه عم
فقال لها ابشرى فقد اتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلو سالفهى كثير
قومى فاسرجى قالت لا سبيل الى السرج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة
الدنانير ولا يصدق واما عكرمه فانه رجع الى منزله فوجد امرأته قد فقدته
وسالت عنه فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت له والى الجزيرة
لا يخرج بعد هدو من الليل منفردا من غلمانه فى سر من أهله الا الى زوجه أو
سرية فقال اعلمى انى ما خرجت فى واحدة منها قالت فخبرنى لماذا خرجت
قال ياهذه ما خرجت فى هذا الوقت وانا أريد أن لا يعلم بى أحد قالت لابد
أن تخبرنى قال تكتميه اذا قلت قالت فانى افعل فاخبرها بالقصه على وجهها
وما كان من قوله وزدت عليه ثم قال اتحبين ان احلف لك أيضا قالت فان
قلبى قد سكن وركن الى ما ذكرت (واما) خزيمه فلما اصبح صالح الغرماء
واصلح ما كان من حاله تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازل يومئذ
بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فاخبره بمكانه وكان مشهور
بمروءته وكرمه وكان سليمان بن عبد الملك قال ياخزيمه ما أبطاك عنا قال سوء
الحال فما منعك من النهضه الينا قال ضعفى يا أمير المؤمنين قال فيما نهضت
الينا الان قال لم أعلم ياأمير المؤمنين الا انى بعد هدو من الليل لم أشعر الا
ورجل يطرق الباب وكان من أولها الى آخرها فقال سليمان هل تعرف الرجل
فقال خزيمه ما عرفته ياأمير المؤمنين لانه كان متنكرا وما سمعت من لفظه
الا أنا جابر عثرات الكرام قال فتلهف وتلهف سليمان بن عبد الملك على
معرفته وقال لو عرفناه لكافأناه على مروءاته ثم قال على بقناه فاتى بها فعقد
لخزيمه ابن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة الفياض فخرج
خزيمه طالب الجزيرة فلما خرج منها قبل عكرمه واهل البلد لالقائه فسلما على
بعضهما ثم سارا جميا الى أن دخلا البلد فنزل خزيمه فى دار الامارة وأمر
أن يأخذ لعكرمه كفيلا وأن يحاسب فحوسب فوجد عليه فصول كثيرة
فطالبه باذائها قال مالى الى شىء من ذلك سبيل قال لا بد منها قال ليست

عندى فاصنع ما انت صانع فامر به الى الجيش ثم أنفذ اليه من يطالبه فارسل يقول أنى لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر أن يكبل بالحديد فاقام شهرا كذلك او اكثر فاضناه ذلك وأضر به وابلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها وكانت ذات عقل ومعرفه وقالت لها امضى الساعة الى باب هذا الامير خزيمة بن بشر وقولى عندى نصيحه فاذا طلبت منك فقولى لا أقولها الا للامير خزيمه بن بشر فاذا دخلت عليه فسليه أن يخليك فاذا فعل ذلك فقولى ما كان جزاء جابر عثرات الكرام منك كافاته بالحبس والضيق والحديد فقبلت الجارية ذلك فلما سمع خزيمه كلامها نادى برفيع صوته واسوا تاه وانه لهو قالت نعم فامر لوقته بدابته فاسرجت وبعث الى وجوه أهل البلد فجمعت اليه واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمه ومن معه فرآه قاعد فى قاعة الحبس متغير أضناه الضر والالم وثقل القيود فلما نظر اليه عكرمه الى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمه حتى ركب على رأسه فقبله فرفع عكرمة اليه رأسه وقال ما عقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافاتى قال يغفر الله لنا ولك ثم أتى بالحداد ففك القيود عنه وامر خزيمه أن توضع القيود فى رجل نفسه فقال عكرمه ماذا تريد فقال أريد أن ينالنى من الضر مثل ما نالك .

قال أقسم عليك لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصلا الى دار خزيمه فودعه عكرمه واراد الانصراف فقال ما انت ببارح قال وما تريد قال أغير حالك وأن حيائى من ابنة عمك أشد من حيائى منك ثم أمر بالحمام فاخلى وادخلاه معا فقال خزيمه وتولى أمره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع وحمل عليه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه فى اعتذار الى ابنة عمه فاستعذر اليها وندم من ذلك قال ثم ساله بعد ذلك أن يسير معه الى سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاعلمه بقدوم خزيمه بن بشر فراعه ذلك فقال والى الجزيره يقدم بغير أمرنا ما هذا الا حادث عظيم فلما دخل قال له قبل أن يسلم ما وراءك ياخزيمه قال الخير يا أمير المؤمنين قال فما الذى أقبلك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت أن أسرك به لما رأيت من تلهفك

وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم بالخلافة فرحب به وادناه من مجلسه وقال ياعكرمه ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان اكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه فى رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته وامر له بعشرة آلاف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وارمينه واذر بيجان وقال له آمر خزيمه اليك ان شئت أبقته وان شئت عزلته قال بل أردده الى عمله ياأمير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزل الا عاملين لسليمان مدة خلافته والله أعلم

(خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ونفعنا به)

قال الامام أحمد بن حنبل ليس أحد من التابعين قوله حجة الا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عنيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا وكان بنو أمية تذكر به عليا رضى الله عنه على المنابر ولما ولى الخلافة وفد الشعراء اليه وأقاموا ببابه اياما لايؤذن لهم فبينما هم كذلك اذمر بهم رجاء ابن حيوه وكان جليس عمر فلما رآه جرير قام اليه وانشد ابياتا منها

يايها الرجل المرخى عمامته هـذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيئاً من أمرهم ثم مر بهم عدى ابن قرطاط فقال جرير أبياتا آخرها قوله

لاتنس حاجتنا لقيت مغفرة قدطال مكثى عن اهلى وعن وطنى

قال فدخل عدى على عمر وقال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة قال ويحك ياعدى مالى والشعراء قال اعز الله الامير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدامتدح واعطاه ألك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرادس السامى فاعطاه حلة قطع بها لسانه قال أو تروى من قوله قال نعم وأنشد

رأيتك ياخير البريه كلها نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنادين الهدى بعدجورنا عن الحق لما أصبح الحق مظلما

ونورت بالبرهان أمر امدنسا وأطفأت بالاسلام نارا تضرما

فمن مبلغ النبي محمدا وكل امرىء يجزى بما كان قدما

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه . وقومت ركنا شامخا قد تهدما

فقال ويلك ياعدى من بالباب منهم قال عمر بن أبى ربيعة قال اوليس هو الذى يقول

ثم نبهتها فمدت كعابا طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها لى قالت ويلتى قد عجلت يابن الكرام

قال كان عدو الله اذا فجر كتم على نفسه لكان استره لا يدخل على والله ابدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال اوليس الذى يقول

هما دلتانى من ثمانين قامة كما انقض بازا كتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا أحى فيرجى أم قتيل نحاذره

لا يدخل على والله ابدا فمن سواه منهم قال الاخطل قال اوليس هو الذى قال

ولست بصائم رمضان طوعا ولست باكل لحم الاضاحى
ولست بزائر عيسا بكورا الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعود ادعوا قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى ساشربها شمولا واسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على ابدا هو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قلت الاحوص قال أو ليس هو الذى قال

الله بينى وبين سيدها يفر بها عنى واتبعه

فهل أحد سوى من ذكرت قال جرير قال أوليس هو الذى يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهو الذى يدخل فلما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ولا تقل الاحقا فانشد يقول قصيدته الرائية المشهورة التى منها

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
جاء الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذه الارمل الذكر
الخير مادمت حيا لا يفارقنا بوركت ياعمر الخيرات من عمر

فقال ياجرير لاأوى لك فن ههنا حقا قال بلى ياأميرالمؤمنين أنا ابن سبيل منقطع فاعطاه من طيب ماله مائةدرهم وقال ويحك ياجرير لقد ولينا هذا الامر ولم يملك الاثلثمائة درهم فمائة اخدها عبد الله ومائة أخذتها ام عبد الله ياغلام اعطه المائة الاخرى فاخذها جرير وقال والله لهى احب مالا اكتسبه فى عمرى ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك ياجرير فقال مايسوءكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض وقال

رأيت رقى الشيطان لاتستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان)

قال يونس الكاتب خرجت الى الشام فى خلافة هشام بن عبد الملك ومعى جارية غانية وكنت علمتها جميع ماتحتاج اليه وأنا أقدر فيها ان تساوى مائة الف درهم قال فلما قربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه وأصبت من طعام كان معى واخرجت ركوة كان فيها نبيذاً فبينما أنا كذلك واذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس اشقر ومعه خادمان فسلم على وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فاخذ بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان شئت تغنى صوتا فغنيته

حازت من الحسن مالا حازه البشر فلذلى فى هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديداً واستعاده مراراً ثم قال قل لجاريتك فلتغن فامرتها فغنت

جريرة جار قلبى فى محاسنها فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طرباشديداً واستعاده مراراً ولم يزل مقيما الى ان كان صلينا العشاء ثم قال ماقدمك علينا هذا البلد قال أردت ابيع جاريتى هذه قال بكم املت من الثمن قلت مااقضى به دينى ويصلح به حالى قال ثلاثون الفا قلت مااحوجنى الى فضل الله والمزيد فيه قال ايقنعك أربعون الفاً قلت فيها قضاء دينى وابقى اصفر اليد قال قد اخذناها بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك فى ابد ما بقيت فقلت قد بعتكها قال اتثق بى ان اوصل ذلك غداً واحملها معى أو تكون معك الى ان احمل ذلك اليك غدا فحملنى السكر والحياء مع الخشية منه على ان قلت نعم وقد وثقت بك فخذها بارك الله لك فيها فقال لاحد

غلمانه احملها على دابتك وارتدف ورائها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني وانصرف فما هو ان غاب عني ساعة فعرضت موضع خطئي وغلطي وقلت ماذا صنعت بنفسي اسلم جاريتي الى رجل لا أعرفه ولا أدري من هو وهب اني عرفته فمن أين الصلة اليه فجلست مفكراً الى ان صليت الصبح ودخل أصحابي دمشق وجلست حائراً لا أدري ماذا أصنع وقعتني الشمس وكرهت المقام فهميت بالدخول الى دمشق ثم قلت لمن آمن ان الرسول يأتي فلا يجدني فاكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدار هناك فلما أضحى النهار فاذا أحد الغلامين الذين كانا معاه قد اقبل علي فما اذكر اني قد سررت بشيء اعظم من سروري ذلك الوقت بالنظر اليه فقال لي سيدي بطأ عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بي ثم قال لي اتعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن هشام ولي العهد فسكت عند ذلك ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الى ان وصلنا الى داره فدخلت عليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت ما كان من أمرك قالت انزلني الى هذه الحجرة وامر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا قد أتاني خادم له فقال لي قم فقمت فادخلني على سيدة فاذا هو صاحبي بالامس وهو جالس على سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحباً بك قد كنت والله اليك بضنين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك قلت بخير اعزك الله قال فلعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتي الى رجل لا أعرفه ولا أعرف اسمه ولا من أي البلاد هو فقلت معاذ الله أيها الامير أن أندم ولو أهديتها الى الامير فقال والله لكني ندمت على أخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وسفهت عليه في استعجالي لا آخذ الجارية أفتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال لي بعتني هذه الجاريه بخمسين الف درهم قلت نعم قال هات ياغلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات ياغلام الف دينار فاتى بها ثم قال ياغلام هات خمسمائة أخرى فجاء بها ثم قال هـذا ثمن جاريتك قضيته اليك وهبك الخمسمائه دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك رضيت فقلت رضيت وقبلت يديه وقلت والله لقد ملأت عيني ويدي ثم قال والله أنني لم أدخل بها ولا شبعت من غنائها فعلي بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست فقال لها غني فانشدت تقول

يا من حاز كل الحسن طرا　ويا حلو الشمائل والدلائل
جميع الحسن فى عجم وعرب　وما فى الكل مثلك ياغزالى
فاعطف يامليح على محب　بوعدك أو بطيف من خيال
حلالى فيك ذلى وافتضاحى　وطاب لمقلتى سهر الليالى
رضيت لى من الدنيا نصيباً　وأنت أعز من روحى ومالى

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تأديبى لها وتعليمى إياها ثم قال يا غلام قدم له دابه بسرجها وآلتها لركوبه وبغلا لحمله حوائجه ونقله ثم قال يايونس اذا بلغك أن هذا الامر قد انقضى الى فالحق بى فوالله لاملأن لك يدك ولا علين قدرك ولا غنيتك ما بقيت قال فاخذت المال وانصرفت فلما أفضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى والله بوعده وزاد فى اكرامى وكنت معه على أسر حال ولم أزل معه حتى قتل عفا الله عنه

(ومما يحكى) أن هشام بن عبد الملك كان ذات يوم فى صيده وقنصه اذا نظر الى ظبى تتبعه الكلاب فتبعه وأحاله الى خباء أعراب يرعى غنما فقال هشام ياصبى دونك هذا الظبى فأتنى به فرفع الصبى رأسه اليه وقال له ياجاهل بقشر الأخيار قد نظرت الى باستصغار وكلمتنى باحتقار فكلامك كلام جبار وذلك فعل حمار فقال هشام ياصبى ويلك أم تعرفنى فقال قد عرفنى بك سوء تربيتك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك فقال ويلك أنا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابى لاأقاب دارك ولا حيى مزارك ماأكثر كلامك وأقل اكرامك فما استتم حتى أحدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك ياأمير المؤمنين فقال هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس فى مجلسه وقال على بالغلام البدوى فأتى به فلما رأى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وأبناء الدولة وأرباب الصولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه الى أن وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكث رأسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك أن تسلم على أمير المؤمنين فالتفت اليه مغضباً وقال يابردعة الحمار معنى

من ذلك طول الطريق ونهو الدرجة والتعويق فقال هذا وقد تزايد به الغضب ياصبي قد صرت فى يوم دنى فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبي والله ياهشام لئن كان فى المدة تأخير ماضرنى من كلامه لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من أمرك ياأخس العرب أن تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له مسرعه لك الخذال ولامك الويل والهبل أما سمعت ماقال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله يجادل احدا فمن هشام حتى لايخاطب خطابا فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال ياسياف على برأس هذا الغلام فقد أكثر الكلام فقام السياف وأخذ الغلام وبركه فى نطع الدم الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال ياأمير المؤمنين عبدك المذل المتقلب فى رمسه أأضرب عنقه وأنا برىء من دمه قال نعم فاستأذنه ثالثه فهم أن يأذن له فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال ياصبي أظنك معتوها ترى أنك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وأنت تضحك هزأ بنفسك فقال ياأمير المؤمنين ان كان فى المدة تأخير لم يكن فى الاجل تقصير ماضرنى منك قليل ولا كثير لكن أبيات حضرت الساعة فاسمعها فقتلى لا يفوت أنا كثر الصموت فقال هشام هات واوجز فهذا أول أوقاتك من الاخره وآخر أوقاتك من الدنيا فانشد يقول

نبئت ان الباز علق مرة . عصفور برشاقة المقدور . فتلق العصفور فى أظفاره والباز منهمك عليه يطير . فاتى لسان الحال يخبر قائلا . ماقد ظفرت وأننى ماسور

مثلى فما يغنى لمثلك جوعه ولئن أكلت فاننى مخفور
فتبسم الباز المعز بنفسه طربا وأطلق ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا من أول وقت من أوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته ياخادم أحش فاه درا أو جواهر أو أحسن جائزته ودعه يمضى الى خال سبيله

(ابتداء الدولة العباسيه)

كان القائم بهذه الدولة أبو مسلم الخراسانى وكان اسمه عبد الرحمن ابن

مسلم فمن قوله

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
مازلت أسعى بجهد في ديارهم ... والقوم في غفلة والناس قد رقدوا
حتى ضربتهموا بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الاسد

أولهم عبد الله السفاح

(مما يحكى) ان أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح في بعض الايام فقال سلني حاجتك فقال له ابو دلامة أريد كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها فقال اعطوه دابة قال وغلام يقود الكلب والصيد فقال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه فقال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها فقال اعطوه دار تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن أين يعيشون قال قد اعطيتك عشرة ضياع عامرة وعشرة ضياع غامرة قال وما معنى الغامره قال مالا نبات فيها قال قد اقطعتك مائة ضيعه غامره فضحك منه وقال اعطوه كلها غامره فانظر الى خرقه بالمسالة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسئلة مسئلة على تشبيب وفكاهة حتى نال ماساله ولو سال ذلك بديهة لما وصل اليها (وروى) عن الحسن بن الحصين قال لما افضت الخلافة الى بني العباس كان من جملة من اختفى ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك ولم يزل مختفيا الى ان اضناه واضجره الاختفاء فأخذ له امان من السفاح وكان ابراهيم رجلا أديباً بليغاً حسن المحاضره فحظى عند السفاح فقال له لقد مكثت زمناً طويلا مختفيا فحدثني باعجب مارأيت في اختفائك فانها كانت أيام تقدير فقال أمير المؤمنين وهل سمع باعجب عن حديثي لقد كنت مختفياً في منزل انظر معه الى البطحاء فبينما أنا على مثل ذلك واذا باعلام سود قد خرجت تريد الحيرة فوقع في ذهني أنها تطلبني فخرجت متنكراً حتى أتيت الكوفة من غير الطريق وأنا والله متحير ولا اعرف بها أحد واذا أنا بباب كبير في رحبة عنيفه فدخلت في تلك الرحبة فوقفت قريباً من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فسار ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل

الرحبة فرآنى واقفا فقال لى ألك حاجة قلت غريب خائفا من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة داره فقال لك هذه وهى فيها ماتحتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده والله ماسألني قط من أنا ولا ممن اخاف وهو فى أثناء ذلك يركب فى كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كانه يطلب شيئا ولم يجده فقلت له يوما أراك فى كل يوم تركب وتعود متعوبا متأسفاً كانك تطلب شيئاً فقال لى ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل أبى وقد بلغنى أنه مختف من السفاح وأنا اطلبه لعلى اجده وآخذ بثارى منه فتعجبت والله ياامير المؤمنين من هربى وشئوم بختى الذى ساقنى الى منزل رجل يريد قتلى ويطلب تارة منى فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما انالنى من الشدة فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله فعرفنى الخبر فوجدته صحيحا فقلت ياهذا قد وجب على حقك وان من حقك ان ادلك على قاتل أبيك واقرب اليك الخطوه وأسهل عليك مابعد فقال اتعلم أين هو قلت نعم فقال أين هو فقلت والله أنا فخذ بثارك منى فقال اظن الاختفاء ماضناك قلت نعم وأنا والله قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقى تغير لونه واحمرت عيناه واطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه الى وقال لى ان ابى فسيلقاك غداً يوم القيامة فيحاكمك عند مالا تخفى عليه خافية واما انت فلست مخفرا ذنبى ولا مضيعا نزيلى اخرج عنى فانى لا آمن نفسى عليك بعد هذا اليوم ثم وثب ياأمير المؤمنين الى صندوق فاخرج منه صره فيها خمسمائة دينار وقال لى خذ هذه واستعن على اختفائك فكرهت اخذها وخرجت من عنده وهو اكرم رجل رأيت فبقى السفاح يهتز طربا ويتعجب (وعن) الهيثم بن عدى قال كان ابو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة مسامره ابراهيم مخرمة الكردى وناس من بنى الحرس بن كعب وهم أولاد خاله وخالد بن صفوان بن ابراهيم التيمى فخاضوا الحديث وتذاكروا فى مصر واليمن فقال ابراهيم ياأمير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دامت لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا أربابا وورثوا ذلك كابرا عن مكابر منهم النعمانيات والمنذريات والقارسات والتبابعة ومنهم من مدحته الذين منهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتز لموته العرش ومنهم من كلمه الذئب ان سئلوا اعطوا

وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ولا ينالهم مفاخر العرب العرباء وغيرهم المتعرب قال أبو العباس السفاح ماظن التميمي يرضى بقولك ثم قال له ماتقول ياخالد قال ان اذنت لى فى الكلام تكلمت قال اذنت لك فى الكلام فتكلم ولا تهب أحد فقال اخطأ ياامير المؤمنين المقتحم بغير علم والناطق بغير صواب فكيف يكون ماقاله وان القوم ليست لهم السن فصيحة ولا حجة رجيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان حادوا عن قصدنا اكلوا وان جاروا حكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات وغير ذلك مما سنأتي عليه ونفتخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام وله المنة علينا وعليهم لقد كانوا اتباعه فيه عزوا وله اكرموا منا النبي صلى الله عليه وسلم ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى ورمزم والمقام والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجينة والبطحاء مع لايخفى من المسائل ولا يدرك من المفاخر فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي واسد الله وسيد الشهداء والجناحين وسيف الله عرفوا المنية واتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا عاديناه ثم التفت الى ابراهيم فقال أعالم أنت بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجمجمه قال والسن قال الميذان قال والاذن قال الصنارة والاصابع قال والستائر قال واللحية قال الذئب قال والذئب الكنع قال افمؤ من أنت بكتاب الله قال نعم قال فان الله تعالى يقول (انا انزلناه قرآناعربيا لعلكم تعقلون) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل ألم تر ان الله تعالى قال العين بالعين ولم يقل الجمجمة بالجمجمة أو قال السن بالسن ولم يقل الميذن بالميذن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال (يجعلون في آذانهم) ولم يقل شناترهم وقال لاتأخذ بلحيتي ولا براسي) ولم يقل بذنبي وقال تعالى (فأكله الذئب) ولم يقل فاكله الكنع ثم قال اسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وماهي قال الرسول منا أومنكم قال منكم قال فالقرآن نزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالبيت الحرام

لنا أو لكم قال فالخلافة فينا أو فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد هذه الاربع فهى لكم

(خلافة أبي جعفر المنصور)

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكان له جارية تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جداً حتى انه كان يلقب بالدوانقى لانه كان يحاسب على الدوانق فكان اذا جاء شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان يكون أحد حفظها أو احد انشاها أى بان كان أتى بها احد قبلك فلا نعطيك لها جائزة وان لم يكن أحد يحفظها نعطيك زنة ماهى مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من أول مرة ولو كانت الف بيت ويقول للشاعر اسمعها منى وينشدها كلها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمع المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرأها ثم يقول الخليفه وهذه الجارية التى خلف الستارة تحفظها أيضا وقد سمعتها الجارية بثلاث مرات نتقرؤها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شيء (قال الراوى) وكان الاصمعى من جلسائه و ندمائه فنظم أبياتا صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها فى عباءة جعلها على ظهر بعير وغير حليته فى صفة اعرابى غريب وضرب له لثاما ولم يبين منه غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال انى امتدحت أمير المؤمنين بقصيده فقال يا أخى العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ماهى مكتوبة عليه ذهبا فانشد الاصمعى هذه القصيدة يقول

صوت صفير البلبلى هيج قلبى الثمل الماء والزهر معا
مع زهر لحظ المقل وأنت ياسيدى دلى وسيدى ومولى
وكم وكم تيمنى غزل عقيق الجنجلى قطفت من وجنته
بالشم ورد الخجل وقلت بس بسبسنى فلم يجد بالقبل
وقالا لا لا لالا وقد غدا مهرولى والخود مالت طربا
من فعل هذا الرجل وولولت ولوه ولى ولى ياويلالى
فقلت لا تولولى وبينى واللؤلؤ لما رأته أسمطا
يريد غير القبل وبعده مايكتفى الا بطيب الوصل لى.

قالت له حين كذا | انهض وجد بالنقل | وقنية سقونى
قهيوة كالعسللى | شميمها فى أنفى | أزكى من القرنفل
فى وسط بستان حلى | بالزهر والسرور لى | والعود دندن دللى
والطبل طبطبلى | والرقص قد طبطبلى | والسقف سقسفلى
شوو وشوو واوشو | على ورق سفرجلى | وغردالقمرى يصيح
من مل فى مللى | فلو ترانى راكباً | على حمار اهزلى
يمشى على ثلاثة | كمشية العرنجلى | والناس ترجلى
فى السوق بالقللى | والكل كعكع كعكع | خلقى ومن حوالى
لكن مشيت هاربا | من خشية العقيلى | الى لقاء ملكى
معظم مبجل | يامر لى بخلعه | حمراء كالدم دم للى
أجر فيها ماشياً | مبغدداً للذيل | انا الاديب الا لمعى
من حى أرض الموصل | نظمت قطعا زخرفت | تعجز الاديالى
اقول من مطلعها صوت صفير البلبل

قال الراوى فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجاريه فلم يحفظها أحد منهما فقال ياأخى العرب هات الذى هى مكتوبة فيه نعطيك زنته قال يامولاى انى لم اجد ورقا اكتب فيه وكان عندى قطعة من رخام من عهد أبى وهى ملقاة ليس لى بها حاجة فنقشتها فيها فلم يصنع الخليفة الا انه أعطاه وزنها ذهبا فنفذ مافى خزينته من المال فاخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظنى ان هذا الاصمعى فاحضره وكشف وجهه فاذا هو الاصمعى فتعجب منه ومن صنيعه واجازه على عادته قال ياأمير المؤمنين ان الشعراء فقراء واصحاب عيال وانت تمنعهم العطاء بشدة حفظك وحفظ هذا المملوك وهذه الجارية فاذا اعطيتهم ماتيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك والله اعلم

(خلافة المهدى)

اسمه احمد بن المنصور حدثنا داود بن رشيد قال قلت للهيثم بن على باى شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاه المهدى القضاء وانزله منه تلك المنزلة الرفيعة فقال ان خبرة باتصاله المهدى ظريف فان احببت شرحته

قلت والله قد احببت قال اعلم انه وافى الربيع الحاجب حين افضت الخلافه الى المهدى وقال له استأذن لى على أمير المؤمنين فقال له من أنت وماحاجتك قال أنا رجل قد رأيت لامير المؤمنين اعزه الله رؤيا صالحة وقد أحببت ان تذكرنى له فقال ياهذا ان القوم لايصدقون فيما يرونه لانفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذا فقال ان لم تخبره بمكانى سألت من يوصلنى اليه وأخبره انى سألتك الاذن لى عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال له ياأمير المؤمنين انكم قد اطمعتم الناس فى أنفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدى هكذا تصنع الملوك فماذا قال رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين ايده الله رؤيا حسنه وقد أحب ان يقصها عليك فقال له المهدى ياربيع انى أرى الرؤيا لنفسى فلاتصح لى فكيف يمكن ادعاؤها الا لعله قد قال والله قلت مثل هذا فلم يقبل قال فادخل عليه سعيد وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق فقال له مارأيت بارك الله فيك قال رأيت ياأمير المؤمنين هاتفا أتى فى منامى فقال اخبر أمير المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافه وآية ذلك انه يرى فى ليلته الآتية فى منامه كانه يقلب يواقيت ثم بعدها فيجد ثلاثين ياقوته كانها قد وهبت له فقال المهدى ما احسن مارأيت ونحن نمتحن رؤياك فى ليلتنا المقبلة على ما اخبرتنا فان كان الامر على ماذكرت أعطيناك فوق ماتريد وان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال ياأمير المؤمنين فما أصنع أنا الساعة اذا سرت الى منزلى وعيالى واخبرتهم انى كنت عند أمير المؤمنين اكرمه الله ثم رجعت اصفر اليد فقال له المهدى فكيف نعمل فقال يعجل لى أمير المؤمنين اعزه الله . الا واحلف له بالطلاق انى صدقت فامر له بعشرة الاف درهم وأمر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال وقال من يكفلك فنظر الى خادم حسن الوجه والزى وقال له هذا يكفلنى فقال له المهدى اتكفله ياغلام فاحمر وخجل وقال نعم ياأمير المؤمنين فكفله وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة رأى المهدى ماذكره له سعيد وأصبح سعيد فوافى الباب

واستأذن فاذن له فلما وقعت عين المهدى قال ابن مصداق ماقلت لناعايه فقال
ومارأى أمير المؤمنين فتلكع فى جوابه فقال له امرانى طالق إذلم تكن رأيت
شيئا قال له المهدى ماتجراك على هذا الحلف بالطلاق فقال لانى احلف على
صدق قال المهدى فقدوالله رأيت ذلك مبينا فقال سعيد الله اكبر فانجزلى ياأمير
المؤمنين ماوعدتنى قال حباً وكرامة ثم أمر له بثلاث آلاف دينار وعشر تخوت
ثياب من كل صنف . وثلاثة مراكب من انفس دوابه محلات فاخذ ذلك
وانصرف فلحق به الخادم الذى كان قد كفله وقال سألتك بالله هل لهذه
الرؤيا من اصل فقال لا والله فقال الخادم وكيف وقد رأى أمير المؤمنين
ماذكرته قال هذا من المخاريف التى لاإب لها وذلك انى لما القيت هذا الكلام
خطر بباله وحدث نفسه واسر به قلبه واشتغل به فكره ففى ساعة نام خيل
لها ماجل فى قلبه واشتغل به فقام فرآه فقال الخادم قد حلفت بالطلاق قال
طلقت واحدة وبقيت معى على اثنين فازيد فى مهرها عشرة دراهم واحصل
على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من الثياب وثلاثة
مراكب فبهت الخادم وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد صدقت وجعلت
ذلك مكافأتك على كفالتك فاستر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى
عنده وقلده القضاء على العسكر فلم يزل كذلك حتى مات (ويحكى) أن المهدى
خرج يتصيد فساربه سيره حتى دخل الى خباء اعرابى فقال يااعرابى هل من
قرى قال نعم فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من ابن فسقاه ثم
أتاه بنبيذ فى كوزه فسقاه قعبا فلما شرب قال ياأخا العرب أتدرى من أنا قال
لا والله قال أنا ابن خدم امير المؤمنين الخاصة قال بارك الله فى موضعك
وناوله قعباً آخر ثم سقاه فشربه فقال يااعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك
من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال
رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يااعرابى إتدرى
من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة واوكاها
وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى
غشى عليه واحس به الخيل ونزلت اليه الجند والاشراف فطار قلب الاعرابى

فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال

(خلافة موسى الهادى بن محمد)

من يرى شيئاً فليضعه (قل) بعض الفضلاء من حيث ان المؤلف أمر من رأى شيئاً فليضعه فرأيت هذا العذر اليسير مذكورا فى تاريخ الاسحاقى فأثبت ذكره امتثالا لامره فقلت ذكر صاحب السكردان ان الهادى كان يوما فى بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره ان الباب بعض الخوارج له باس ومكايد وقد ظفر به بعض القواعد فأمر الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما ابصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين وأخذ سيف أحدهما وقصد الهادى ففر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنا منه الخارجى وهم ان يعلوه بالسيف أومأ الى وراء الخارجى وأوهمه ان غلاما وراءه ياغلام اضرب عنقه فظن الخارجى ان غلاما وراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادى مسرعا عن حماره فقبض على عنق الخارجى وذبحه بالسيف الذى كان معه وهم اليه يتسللون عليه وقد ماتوا احياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الا جواداً من الخيل فنظر الى هذا المقدار فى ثياب جاش الملوك فانه قل مايفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الانادر (حكى) عبد الحق أنه قال مما ابتلى به المهدى من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادر وكانت من أحسن النساء وجها وأطيبهن غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة تغير لونه وقطع الشراب فقيل له مابال أمير المؤمنين قال وقع فى قلبى انى أموت وان أخى هرون يعلى الخلافة ويتزوج غادر امضوا وأتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ماخطر بباله فجعل هارون يترفق به فقال لا أرضى حتى تحلف لى بكل ماأحلفك به انى اذا مت لاتتزوج بها فرضى بذلك وحلف أيمانا عظيمة ودخل على الجارية وحلفها أيضاً مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هرون الرشيد فطلب الجارية فقالت ياأمير المؤمنين كيف يصنع بالايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما

وافتتن بها أعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا يتقلب فبينما هى فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة اذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لهـا مابالك فديتك قالت رأيت اخاك الهادى الساعة فى النوم فانشدنى هذه الابيات

اخلفت عهدى بعد ما جاوزت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى أيمانك الزور الفواجر
لايهنك الالف الجـديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصباح وصرتى حيث غدوت سائر

قالت ثم ولى عنى وكان الابيات مكتوبه فى قلبى مانسيت منها كلمة قال لها هـذه احلام الشيطان فقالت كلا والله ياأمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت فى تلك الساعه ولا تسأل عن هرون الرشيد ومالقى بعدها

(خلافة هرون الرشيد بن محمد المهدى)

هو اخو موسى الهادى الخامس من بنى العباس (قال) ابراهيم الموصلى فى تهنئة الخلافة عندماولى الرشيد بعد أخيه موسى الهادى

الم تر ان الشمس كانت مريضة فلما اتى هارون أشرق نورها
تلبست الدنيـا جمالا بملـكه فهرون واليها ويحيى وزيرها

وقدم اعرابى حين ولى هرون الخلافة فقيل له فيم جئت قال أتيت برسالة قال ائت بها قال اتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فابلغه هـذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش يزف اليكها ابداً عروسا
الى هرون تهدى بعدموسى تميس وما لها أن لاتميسا

فاعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه وقد بويع له بالخلافة فى الليلة التى توفى فيها أخوه وولدله فى تلك الليلة المامون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها فى بنى العباس مات فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيي بن خالد البرمكى وزارته وسيأتى ايقاع الرشيد بالبرامكه وسبب ذلك (ويحكى) أن هرون الرشيد مر فى بعض الايام وبصحبته جعفر

البرمكى واذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشراب واذا احدهن تقول

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت المنام كى أستريح وتنطفى
نار تأجج فى العظام دنف تقلبه الاكف على بساط من سقام
اما انا فكم علمت فهل لو صلك من دوام

فاعجب أمير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها فقال لها يابنت الكرام هذا من قولك أو منقولك قالت من قولى قال ان كلامك صحيحا فامسكى المعنى وغيرى القافية فانشدت

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الوسن
كى أستريح وتنطفى نار تأجج فى البدن دنف تقلبه الاكف
على بساط من شجن أما انا فكما علمت فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلامى فقال ان كان كلامك أيضا فامسكى المعنى وغيرى القافية فقالت

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الرقاد
كى استريح وتنطفى نار تأجج فى الفؤاد دنف تقلبه الاكف
على بساط من حداد اما أنا فكما علمت فهل لوصلك من سداد

فقال لها والآخر مسروق فقالت بل كلامى فقال ان كان كلامك فامسكى المعنى وغيرى القافيه فقالت

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الهجوع كى استريح وتنطفى
نار تأجج فى الضلوع دنف تقلبه الاكف على بساط من دموع
اما أنا فكما علمت فهل لوصلك من رجوع

فقال أمير المؤمنين أنت من اى هذا الحى قالت من اوسطه بيتا وأعلاه عاموداً فعلم أمير المؤمنين أنها بنت كبير الحى ثم قالت وانت من أى راعى الخيل فقال من اعلاها شجرة وأينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت أيد الله أمير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لا بد من أخذها فتوجه جعفر الى أبيها وقال له ان أمير المؤمنين يريد ابنتك فقال حباً وكرامه تهدى جارية

لاميرالمؤمنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من أعز نسائه وأعطى والدها مايستره بين العرب من الانعام ثم بعدمدة انتقل والدها بالوفاه الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبروفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبه نهضت ودخلت الى حجرتها وقلعت كل ماعليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن وأقامت النعى له فقيل لها ماسبب هذا فقالت مات والدى فمضوا الى الخليفة فاخبروه فقام وأتى اليها وسألها من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك ياامير المؤمنين قال وكيف ذلك قالت منـذ أنا عندك مارأيتك هكذا ولم يكن لى من اخاف عليه الا والدى لكبره وتعيش رأسك أنت ياامير المؤمنين فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة وهى حزينة على والدها ثم لحقت به رحمه الله عليهم أجمعين (ويحكى) ان أمير المؤمنين هرون الرشيد أرق ذات ليلة فقام يتمشى فى قصره بين المقاصير فرأى جارية من جواريه نائمة فاعجبته فداس رجلها فانتبهت منه وقالت ياأمين الله ماهذا الخبر فاجابها يقول

قلت ضيف طارق فى أرضكم هل تضيفوه الى وقت السحر

فاجابته تقول

بسرور وهنـاء سيدى اخدم الضيف بسمعى والبصر

فبات عندها الى الصباح فسأل أمير المؤمنين من بالباب من الشعراء قيل له أبو نواس فأمر به فدخل عليه فقال له هات ياأمين الله ماهذا الخبر فانشد يقول

طال ليلى حين وافانى السهر فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت أمشى فى المجال ساعة ثم أجرى فى مقاصير الحجر
فاذا وجه جميل مشرق زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موطئا فدنت منى ومدت لى البصر
وأشارت لى بقول مفصح ياامين الله ماهـذا الخبر
قلت ضيف طارق فى أرضكم هل تضيفوه الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدى أخدم الضيف بسمعى والبصر

قال فتعجب امير المؤمنين من ذلك وأمرله بصلة (ويحكى) ان هرون الرشيد هجر جارية ثم لقيها فى بعض الليالى فى القصر سكرى تدور فى جانب القصر وعليها رداء خز وهى تسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبيها والريح ابان نهديها لانهما رمانتان ولها ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت ياامير المؤمنين تهجرنى هذه المده وليس لى علم بموافاتك فانظرنى الى غد حتى اتهيأ وآتيك فلما أصبح قال للحاجب لاتدع احداً يدخل على الافلانة وانتظرها فلم تجىء فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت ياأمير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى الشعراء فدخل عليه ابو نواس والرقاشى وابو مصعب فقال لهم هاتوا على كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشى أناقائل فى ذلك ثلاثة ابيات

أتسلوها وقلبك مستطار وقدمنع القرارفلاقرار
وقدتركتك صبا مستهاما فتاة لاتزور ولا تزار
وراحت وانثنت تيها وعجبا وقالت كلام يمحوه النهار

وقال ابو مصعب وأناقائل فى ذلك ثلاثة ابيات وانشد يقول

اما والله لاتجدين وجدى لما وسعتك فى بغداد دار
أما يكفيك ان الاعين عبرى ومن ذكراك فى الاحشاء نار
تبسمت الفتاة من غير ضحك كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس وأنا قائل فى ذلك اربعة ابيات وأنشد يقول

وخود اقبلت فى القصر سكرى ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح اردافا ثقالا وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الردى عن منكبيها من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتى فقالت كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كانك كنت معنا أومطلعا علينا وأمر لكل واحد بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولابى نواس بعشرة الالف درهم (وذكر) الخطيب فى بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئا فاعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه

وقال من بالباب من الشعراء قالواله ابو نواس وبشار ليحضروا فقال ليقل كل منكما أبياتا توافق مافى نفسى فانشد بشار يقول

تحييكم والقلب صار اليكموا بنفسى ذاك المنزل المتحبب
وقالوا تجنينا ولا قرب بيننا فكيف وأنتم حاجتى تتجنبوا

فقال أحسنت ولكن ماأصبت مافى نفسى فقل أنت ياأبانواس فجعل يقول

نضب عنها القميص لصب ماء فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت بمعتدل أرق من الهباء
ومدت راحة كلماء منها الى ماء معد فى أناء
فلما ان قضت شطراً وهمت على عجل لتأخذ بالرداء
رأت شخص الرقيب على التدانى فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل فظل المساء يجرى تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها كاحسن ماتكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم ياأمير المؤمنين قال أمعنا كنت قال لا والله ولكن شيء خطر ببالى فامر له بأربعة آلاف درهم وصرفه (ويحكى) أن أمير المؤمنين الرشيد أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقام من فراشه ومشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال على بأصمعى فخرج الطواشى الى البوابين فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا احد خلف الاصمعى فلما حضر اعلم الخليفة واجلسه ورحب به وقال ياأصمعى اريد منك ان تحدثنى بأجود ماسمعت من أخبار النساء واشعارهن فقال سمعاً وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبنى سوى ثلاثة بنات فقال حدثنى حديثهن فقال اعلم ياامير المؤمنين انى توجهت سنة الى البصرة فاشتد على الحر فطلبت مقيلا اقيل فلم اجد فبينما انا ألتفت يمينا وشمالا اذا انا بدار مرشوش وفيه دكة خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت بالسياطات وجلست على الدكة واردت الاضجاع فسمعت كلاماً عذبا من فم جارية حسناء وهى تقول ياأختى انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبح تعالين نطرح ثلثمائة دينارا وكل منا تقول بيتاً من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب

الاملح كانت الثلثمائة دينار لها فقلن حباً وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له ان زار فى النوم مضجعى ... ولو زارنى مستيقظاً كان اعجباً

فقالت الوسطى

وما زارنى فى النوم الا خياله ... فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى

بنفسى وأهلى من أرى كل ليلة ... ضجيعى ورياه من المسك أطيباً

وهممت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهى تقول اجلس ياشيخ فطلعت على الدكه ثانياً وجلست فدفعت الى ورقة فنظرت خطه فى نهاية الحسن مستقيم الالفاظ مجوف الهاءات مدور الواوات مضمونه نعلم الشيخ أطال الله بقاه أننا ثلاث بنات اخوات جلسنا الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم فى ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجاريه على بدواة وقرطاس فاحضرتها فانشدت اقول

أحدث عن خود تحدثن مرة ... حديث أمرى ساس الامور وجربا
ثلاث كبكرات الصحارى جحافل ... حللن شعور المشوق معذبا
خلون وقد نامت عيون كبيرة ... من الراقدين المشترين التغيبا
فبحن بما يخفين من داخل الحشا ... نعم واتخذنا الشعر لهوا وملعبا
فقالت عروب ذات خدر عزيزة ... وتبسم من عذب المقالة أنسبا
عجبت له أن زار فى النوم مضجعى ... ولو زارنى مستيقظاً كان أعجبا
فلما انقضى ما زخرفته تضاحكت ... تنفست الوسطى وقالت تطربا
وما زارنى فى النوم الا خياله ... فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
وأحسنت الصغرى وقالت مجيبة ... بلفظ لها قد كان أشهى وأعذبا
بنفسى وأهلى من أرى كل ليلة ... ضجيعى ورياه من المسك أطيبا
فلما تديرت الذى كان وانبرى ... لى الحكم لم اترك لذى اللب متعبا
حكمت لصغراهن فى الشعر أننى ... رأيت الذى قالت جميلا وأصوبا

قال الاصمعى ثم رفعت الرقعه الى الجاريه فلما صعدت الى القصر فاذا برقص وتصفيق ودنيا دانيه وقيامه قائمه فقلت ما بقى لى إقامه فنزلت عن

الدكه وأردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يأصمعي نقلت ومن أعلمك أنني الاصمعي فقالت ياشيخ أن خفي علينا اسمك فما خفي علينا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الاولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى فتفكهت وتحليت وشكرت صنعها وأردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يأصمعي فرفعت بصري اليها فنظرت كفا احمر في كف اصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام ورمت لى بصرة فيها ثلاثمائة دينار وقالت هذا صار لى وهو مني لك هبه في نظير حكومتك فقال لى أمير المؤمنين لاى شيء حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى ولا للوسطى . فقلت له ياأمير المؤمنين ان بيت الكبرى قالت

(عجبت له أن زار في النوم مضجعي)وهو محمول معلق على شرط

قد يقع ولا يقع وأما الوسطى فرانها طيف خيال في النوم فسلمت عليه وبيت الصغرى ذكرت أنها ضاجعته مضاجعة حقيقة وشمت منه انفاساً أطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلها ولايفدى بالنفس الامن هو أعزمن النفس فقال الخليفة أحسنت يأصمعي ثم دفع الى ثلثمائة دينار فأخذتها وانصرفت (وقال) السجستاني أرق الرشيد ليلة فوجه الى الاصمعي والى الحسين الخليع فاحضرهما وقال علابي وابدا أنت ياحسين فقال حسين نعم يا أمير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الى البصرة ممدحا محمد بن سليمان الزيني بقصيدتي فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لاستقى واذا انا بجارية كانها قضيب ينثني واسعه العين أزجة الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلناري ورداء عزني قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها تتلالا من تحت القميص ثديين كرامانتين وبطن كطي القباطي وعكن كالقراطيس ولهاجمة جعدت بالمسك محشوه وهي ياامير المؤمنين متقلدة خرزا من الذهب والجوهر يزهو بين ثدييها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانه ذاهبة في الدهليز ورائحة تخطر على أكباد محبيها

فى مشيتها وقد خالط أصوات خلا خيلها فهى كما قال الشاعر فيها

كل جزء من محاسنها كائن من حسنها مثلا

فهبنا ياأمير المؤمنين ثم دنوت لاسلم عليهــا فاذا الدهليز والدار والشارع قد عبق بالسمك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر فقلت لها ياسيدتي أنى شيخ غريب أصابنى عطش افتأمرين بشربة من ماء تؤجرين عليها قالت اليك عنى ياشيخ فانى مشغوله عن الماء والدخار الزاد قلت لا علة ياسيدتى لانى عاشقة من لا ينصفنى وأريد من لا يريدنى ومع ذلك فانى ممتحنة برقباء فوق رقباء قلت ياسيدتى وعلى بسيطة الارض من تردينه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ماركب فيه من الجمال والمال والدلال قلت وما وقوفك فى هذا الدهليز قالت ههنا طريقه وهذا أوان اجتيازه فقلت ياسيدتى هل اجتمعتى وقت من الاوقات ووجب حديث فى هذا القرب فتنفست الصعداء وارخت دموعها ثم أنشدت تقول

وكنا كغصنى بان فى كل روضة نسيم جنى اللذات فى عيشة رغد

فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع فما من رأى فرداً يحن الى فرد

قلت ياهذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت ارى الشمس على حائطهم أحسب أنها هو وربما أراه بغتة فابهت ويهرب الدم والروح من جسدى وابقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها اعذرينى فانت على ما نالك من الصبا وشغل البال بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى أرى ما بك من تغير اللون ورقة البشره فكيف لو لم يمسك مفتنه فى ارض البصرة قالت والله قبل محبتى لهذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال ولقد فتنت جميع ملوك البصره حتى افتننى هذا الغلام قلت ياهذه فما الذى فرق بينكما قالت نوائب الدهر ولحديثى وحديثه شأن الشئون وذلك انى كنت فى عيد النيروز ودعوت عدة من مستظفرات البصره من النساء الجميلات وكانت فيهن لجواره جارية شراز وكان شراؤها عليه من عمان بثمانيه آلاف درهم وكان بى والعه فلما دخلت رمت بنفسها على تقطمنى قرصا وعضائم خلونا لنشرب القهوة إلى أن يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبنى والاعبها فتارة فوقها

وهي فوق فحملها السكر الى ان ضربت يدها الى تكتي فحملتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلى ملاعبه فبينما نحن كذلك أذ دخل علينا حبيبي فرأى ذلك فاشماز لذلك وصرف عنى صروف المهرة العربيه اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا فانا ياشيخ منذ ثلاث سنين اسأل جمعيته فلا ينظر إالى الى بظرف ولا يكتب لى بحرف ولا يكلم لى رسولا ولا يسمع منى قليلا فقلت لها ياهذه من العرب هوام من العجم فقالت ويحك هو من جملة ملوك البصره فقلت لها شيخ هو أم شاب فنظرت الى شزرا وقالت أنك أحمق هو مثل القمر ليلة البدر اجرد له طرة كحلك الغرام لا يعيبه شيء غير انحرافه عنى قلت لها ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت اجتهد فى لقاءه فاتعرف الفصل بينكما قالت على شرط أن تحمل اليه رقعة قلت لا أكره ذلك فقالت اسمه بن المغيرة ويكنى بابى السخاء وقصره بالمربد ثم صاحت فى الدار ياجوارى الدواة والقرطاس وشمرت عن ساعدين كأنهما طوقان من فضة وكتبت بعد البسمله سيدى ترك الدعاء فى صدر رقعتى ينبى عن تقصيرى ودعائى أن دعوته هجته ورعونه ولا بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لكان لما تكامته خادمك من كتابة هذه الرقعة معنى مع يأسها منك لعلمها تركك الجواب سيدى جد بنظره وقت اسيرك فى الشارع الى الدهليز تحى بها تحساميته وخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة وقلة واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التى كانت بيننا فى الليالى الخاليات التى أنت ذاكرها لها سيدى الست لك محبة مدنفة فان رجعت الى الايسه كنت لك شاكره وأعد خادمه والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فاصبحت غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا بالملوك ورأيت غلاما زان المجلس وفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير فوقه فسالت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيره فقلت فى نفسى بالحقيقة يكفى بالمسكنة ما حل بها ثم قمت وقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا قد ورد فى موكب فوثبت اليه واليت فى الدعاء له وناولته الرقعه فلما قرأها وفهم معناها قال ياشيخ قد استبدلنا بها فهى لك أن تعود الى الديار قلت نعم فصاح فى الدار أخرجو الريدا فاذا أنا بجاريه

الخالوطية السكين ناهدة الثديين تمشي مشية مستوحل من غير وحل فناولها الرقعة وقال اقرىء عنها فلما قرأتها اصفرت وعرفت وقال ياشيخ استغفر الله مما جئت به فخرجت يا أمير المؤمنين وانا اجر رجلى حتى أتيتها واستأذنت عليها فقالت ما وراءك فقلت البؤس فقالت ما عليك منه فاين الله والقدر ثم أمرت لى بخمسمائة دينار ثم جزت بعد أيام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت فاذا اصحاب ضمرة يسألونها الرجوع اليه فقالت لا والله لاوالله لانظرت له وجها فاوردت الى رقعة فاذا فيها بعد التسميه ياسيدتى ولولا ابقائى عليك ادام الله حياتك لكشفت شطرا من غدرك وبسط شطر عينى عليك وسلكت ظلامتى فيك اذا كنت الجانيه على نفسك ونفسى والمظهرة السوء العهد وقلة الوفاء والمؤثره علينا غيرى فخالفت هواى والله المستعان على ما كان من سواء اختيارك والسلام وأوقفتنى على ماحمله اليها من الهدايا والتحف العظيمة فاذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رأيتها وقد تزوج بها ضمره فقال الرشيد لولا ان ضمرة سبقنى اليها لكان لها معى شأن من الشئون انتهى (وحكى) مسرور بن الخادم قال ارق الرشيد ارقاشديداً ليلة من الليالى فقال يامسرور من على الباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن معمرى المعزوى فقلت اجب اميرالمؤمنين فقال سمعاً وطاعة فدخلت ودخل معى الى ان صار بين يدى هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فردعليه وأمره بالجلوس فقال له الرشيد ياجميل اعندك شىء من العجيبة قال نعم يأمير المؤمنين ايما احب اليك ماعينته ورأيته أو سمعته ووعيته فقال بل حدثنى عما عاينته ورأيته فقال نعم يأمير المؤمنين اقبل على بكالك واصغالى باذنك قال فقصد الرشيد الى مخدة من الديباج الاحمر المزركشة بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرفقيه وقال هلم بحديثك فقلت اعلم يأمير المؤمنين أنى كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت آلفها اذ هى سؤلى وبغيتى من الدنيا وأن أهلها رحلوا بها لعلة المرعى فاقمت مدة لم أرها إذ الشوق أقلقنى وجذبنى اليها فراودتنى نفسى بالمسير اليها فلما كانت ذات ليلة من الليالى هزنى الوجد اليها فقمت وشددت رحلى على ناقتى ولبست

أطماری وتقلدت بسیفی ورکبت ناقتی وخرجت طالبا وكنت أجد
فی السیر فسرت وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وانا مع ذلك أكابد هبوط الاودية
وصعود الجبال اسمع زئير الاسد وعواء الذئاب واصوات الوحوش من كل
جانب وقد ذهل عقلى وطاش قلبى ولسانى لا يعترهن ذكر الله تعالى فبينما أنا
أسير كذلك اذ غلبنى النوم فاخذت بى الناقة على غير الطريق التى كنت فيها
وزاد على النوم واذا أنا بشيء لطمنى على رأسى فاستنبهت فزعا مرعبا واذا
باشجار وانهار وماء وأطيار على تلك الاغصان تترنم بلغاتها والحانها واشجار
تلك المرج مشبكة بعضها ببعض فنزلت على ناقتى وأخذت زمامها بيدى ولم
ازل اتلطف بها الى أن خرجت بها من تلك الاشجار الى أرض فلاة فاصلحت
كورها واستوليت راكبا على ظهرها ولا أدرى الى أين أذهب ولا الى أين
ما تسوقنى الاقدار فمددت نظرى فى تلك البرية فلاحت لى نار فى صدرها
فوكزت ناقتى وسرت طالبا الى أن وصلت الى تلك النار تقربت منها وتأملت
واذا بخباء مضروب ورمح مركوز ورايه قائمة وخيل واقفه وابل سائمه
فقلت فى نفسى يوشك أن يكون لهذا الخباء شأن عظيم فانى لا أرى فى هذا
البرية سواى ثم تقدمت خلف الخباء فقلت السلام عليكم يا أهل الخباء ورحمة
الله فخرج الى من الخباء غلام من أبناء تسعة عشر كانه البدر اذا أشرق
والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أخا العرب
أنى أظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك أرشدنى يرحمك الله تعالى
فقال يا اخا العرب أن أرضنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة شديدة
الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش أن يفترسك فانزل عندى على
الرحب والسعة فاذا كان الغد أرشدتك الى الطريق فنزلت على ناقتى وعلقتها
بفاضل زمامها ونزعت ما كان على من أطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد
عمد الى شاه فذبحها والى نار فاضرمها واججها ثم دخل الخباء واخرج
ابزارا ناعمة ولحما طيبا واقبل يقطع من اللحم ويشوى على النار ويطعمنى
ويتنهد تارة ويبكى تارة أخرى ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء
شديدا وأنشد يقول

لم يبق الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت
لم يبق فى أعضائه مفصل الا وفيه سقم ثابت
فدمعه جار وأحشاؤه توقد الا أنه ساكت
تبكى له إعداؤه رحمة يادويح من يرثى له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا أمير المؤمنين اعلمك أن الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت فى نفسى أنى فى منزل الرجل واتهجم عليه فى السؤال فرددت نفسى واكلت من ذلك اللحم بحسب الكفايه فلما فرغت من الاكل قام الشاب ودخل الخباء واخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير اطرافه مزركشه بالذهب الاحمر مملوء من ماء الورد والمسك فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت فى نفسى ما اغرب الظروف فى البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم أنه قام ودخل الخباء وقطع بينى وبينه بمقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل ياوجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك فى هذه الليلة تعب فى سفرك هذا ونصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا أنا بفراش من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان على من الثياب وبتت ليلة لم أر عمرى مثلها فلم أزل كذلك وانا متفكر فى أمر هذا الشاب الى أن جن الليل ونامت العيون فلم أشعر الا بحس خفى لم أسمع الطف منه ولا أرق حاشية فرفعت سجاف المضرب ونظرت فاذا بصبية لم أر أحسن منها وجها الى جانبه وهما يبكيان ويتشاكيان ألم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما الى التلاقى فقلت يالله العجب من هذا الشخص الثانى وهذا بيت فرد لم أر فيه غير الفتى وليس حوله احد ثم قلت فى نفسى لاشك ان هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرد بها فى هذا المكان وتفردت به فحققتها فاذاهى أنسية عربية اذا رمت تخجل الشمس المضيئه وقد أضاءت الخباء من نور وجهها فلما تحققت أنها محبوبته غلبتنى الغيرة على الحب فارخيت الستر وغطيت وجهى ونمت فلما أصبحت لبست ثيابى وتوضأت لصلاتى وصليت ما كان على من الفرض ثم قلت له ياأخا العرب هل لك أن ترشدنى الى الطريق فقد تفضلت على فنظر الى وقال

على رسلك ياوجه العرب الضيافة ثلاثة أيام وما كنت بالذى يدعك الا بعد الثلاثة أيام قال فلما كان اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال اما نسبي فانا من بنى عذره وانا فلان بن فلان فاذا هو بن عمى ياامير المؤمنين وهو من اشرف بيت فى بنى عذرة قال فقلت يابن العم ماالذى حملك على ذلك الانفراد فى هذه البرية وكيف تركت عبيدك واماءك وانفردت بنفسك فى هذا المكان فلما سمع يا امير المؤمنين كلامى تغرغرت عيناه بالدموع ثم قال يابن العم انى كنت محباً لابنة عمى مفتوناً بها هائماً بحبها مجنوناً عليها لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقى لها فخطبتها من عمى فابى ان يزوجنيها وزوجها الى رجل من بنى عذره ودخل بها واخذها الى المحلة التى هو فيها من العام الاول فلما بعدت وحجبت عن النظر اليها حملتنى لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على تركى اهلى ومفارقتى عشيرتى وخلانى وجميع امتعتى وتفردت فى هذا البيت فى هذه البرية الفت وحدتى فقلت واين أبياتهم قال هى قريبة فى ذروة هذا الجبل وفى كل ليلة عند نوم العيون وهدو من الليل تنسل من الحى سرا بحيث لايشعر بها أحد فاتضى منها بالحديث ألذ وأطرب وتقضى هى كذلك وها أنا متيم كذلك على هذا الحال اتسلى بها ساعة من الليل (ليقضى الله أمراً كان مفعولا) أو يأتينى الامر على رغم الحاسدين) (أو يحكم الله لى وهو خير الحاكين) قال جميل فلما حدثنى الغلام يأأمير المؤمنين غمنى وقد حرت فى حيرة لما أصابنى عليه من الغيرة فقلت يابن العم هل لك أن ادلك على حيلة اشير بها عليك وفيها ان شاء الله عين من الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يفرج الله عليك الذى تخشاه فقال لى قل ياابن العم فقلت له اذا كان الليل وجاءت الجارية فأردفها على ناقتى فأنها سريعة الرواح واركب أنت جوادك وانا اركب بعض هذه النوق وأسير بكم الليلة جميعا فلما يصبح الصباح الا وقطعت بكم بوادى وقفار وتكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وأرض الله واسعة فضاها وانا والله مساعدك ماحييت بروحى ومالى وسيفى فلما سمع ذلك قال يابن العم حتى أشاورها فى ذلك فانها عاقلة لبيبة بصيره بالامور قال جميل فهما جن

الليل وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت المعلوم فأبطات عن عادتها فرأيت الفتى وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح التى تهب من نحوها وانشد يقول

ريح الصبا تهدى الى نسيم   من بلدة فيها الحبيب مقيم
ياريح فيك من الحبيب علامة   افتعلمين متى يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكى ثم قال يا ابن العم ان لبنت عمى فى هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عنى عائق ثم قال لى كن مكانك حتى آتيك الخبر ثم اخذ سيفه وجحفته ثم غاب عنى ساعة من الليل ثم اقبل وعلى يديه شىء يحمله ثم صاح فاسرعت اليه فقال اتدرى يا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال فجعت فى ابنة عمى فى هذه الليلة فانها كانت توجهت الينا كعادتها اذا عرض لها فى طريقها أسد فافترسها ولم يبق منها الا ماترى ثم أنه طرح ماكان على يده فاذا هو مشاش الجارية مافضل من عظامها ثم بكى بكاء شديداً ورمى الترس من يده وأخذ كساءه على يديه ثم قال لا تبرح الى ان آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عنى ساعة ثم عاد وبيده رأس الاسد فطرحه على يده وطلب الماء فاتيته به فغسل الاسد وجعل يقبله ويبكى ويئن وزاد حزنا عليها وانشد يقول

الا أيها الليث المغتر بنفسه   هلكت لقد هيجت لى بعدها شجنا
وصيرتنى فردا وقد كنت اليفها   وصيرت بطن الارض لى ولها وطنا
اقول لدهر خاننى بفراقها   وغار عليها ان يكون لها خدنا

ثم قال يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التى بينى وبينك الا حفظت وصيتى انك سترانى الساعة ميتاً بين يديك اذا كان كذلك تغسلنى أنا وهذا الفاضل من مشاش الجارية فى هذا الثوب وادفنا فى قبر واحد واكتب عليه ما يأتى

كنا على ظهرها والعيش فى رغد   والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا   وصار يجمعن فى بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديداً ثم دخل المضرب وغاب عنى ساعة وخرج وجعل

يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم على وكبر عندى حتى كدت الحق به من شدة حزنى عليه ثم تقدمت اليه وفعلت ما به امرنى من الغسل وكفنتهما جميعا ودفنتهما فى قبر واحد واقمت عند قبرهما ثلاثة أيام ثم ارتحلت واقمت سنين اتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا أمير المؤمنين (قال) فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه واجازه جائزة حسنه (حكاية أجنبية) قال اسحق ابن ابراهيم الموصلى بينما أنا ذات يوم فى منزل وكان فى زمن الشتاء وقد افترشت السحب وتواكت الامطار تقطر القرب وامتنع الغادى والمقبل من المسير فى الازقة والطرقات لما فيها من الامطار والوحل وأنا ضيق الصدر اذ لم يأتينى أحد من اخوانى ولم اقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامى احضر لى طعاما وشرابا فتنغصت ان لم يكن معى من يؤانسنى ولم أزل أتطلع من الطاقات وأراقب الطرقات حتى اقبل الليل فتذكرت جارية لبعض أولاد المهدى كنت أهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهى فقلت فى نفسى لو كانت الليلة عندى اتم سرورى وطابت ليلتى مما أنا فيه من الفكر والقلق واذا كافواه بالباب يدق وقائل يقول

ايدخل محبوب على الباب واقف

فقمت الى الباب فاذا بصاحبتى وعليها قرطا اخضر قد تلفحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت فى الطين الى ركبتها وابتل ما عليها من المزاريب وهى فى حال عجيب فقلت لها ياسيدتى ما الذى أتى بك فى هذه الاحوال فقالت قاصدك جاءنى ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعنى الا الاجابة والاسراع نحوك فعجبت من ذلك وكرهت ان اقول لها انى لم ارسل اليها أحدا فقلت الحمد لله على جمع الشمل بعد ما قاسيت من ألم الصبر ولو كنت ابطأت على ساعة كنت الحق بالسعى اليك فانى كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامى هات الماء فاقبل بقدر فيها ماء حار حتى اصلح لها حالها ثم امرته ان يصب الماء على رجليها وتوليت غسلها ثم دعوت ببدلة من افخر الملبوس فالبستها اياها بعد ان نزعت ما كان عليها وجلست ثم استدعيت بالطعام فابت فقلت هل لك فى الشراب فقالت نعم فتناولت قدحا ثم قالت من يغنى لى فقلت لها أنا

ياسيدتي فقالت لاأحب فقلت بعض الجوارى فقالت لاأريد فقلت أنت قالت ولا أنا قلت فمن يغنيك قالت التمس من يغني لي فخرجت اطاعه لها الا انى آيس من اجد احدفى مثل هذاالوقت فلم أزل حتى بلغت الشارع فاذا أنا باعمى يخبط الارض بعصا وهو يقول لاجزى الله من كنت عندهم خيراً ان غنيت لم يسمعوا ان سكت استخفوا فقلت امغن أنت قال نعم قلت فهل لك ان تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدى فاخذت بيده وسرت الى الدار وقلت لها ياسيدتي أتيت بمغن اعمى نتلذذ به ولا يرانا فقالت على به فادخلته وعزمت عليه بالطعام فاكل اكلا لطيفاً وغسل يديه وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاث اقداح ثم قال لى من تكون قلت اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال لقد كنت اسمع بك والآن فرحت فنادمتك فقلت ياسيدى فرحت بمن بشرك فقال غنى يااسحاق فاخذت العود على سبيل المجون وقلت السمع والطاعة فلما غنيت وانقضى الصوت قال يااسحاق قاربت ان تكون مغنياً فصبرت على نفسى والقيت العود من يدى فقال ماعندك من يحسن الغناء قلت عندى جارية قال مرها لتغن فقلت تغن وأنت واثق بغنائها قال فقلت قال ماصنعت شيئا فرمت العود من يدها مغضبة وقالت الذى عندنا جدنا به فان كان عندك شيء فتصدق به فقال على بعود لم تمسه يد فامرت الخادم فجاء بعود جديد فضرب فى طريق لااعرفها واندفع يغنى هذه الابيات

سرى يقطع الظلماء والليل عاكف   حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها   ايدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الى الجارية شزراً وقلت سر بيني وبينك ماوسعه صدرك ساعة واودعته لهذا الرجل فحلفت لها ثم اعتذرت اليها وأخذت اقبل يديها وادغدغ ثدييها واعض خديها حتى ضحكت ثم التفت الى الاعمى وقلت غن ياسيدى فاخذ العود وغنى هذه الابيات

الا ربما زرت الملاح وربما   لمست بكفى البان نتخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم أزل   اعضعض تفاح الخدود المنكبا

فقلت لها ياسيدتي من اعلمه بما نحن فيه قالت صدقت ثم طلب الانصراف

فقلت ياغلام خذ الشمعة وامض به فخرجا وابطأ فخرجنا فى طلبه فلم نجده واذا الابواب مغلقة والمفاتيح على الخزانة فلايدرى فى السماء صعد أم فى الارض هبط ثم هبط ثم علمت أنه ابليس وانه قادلى ثم انصرف فتذكرت قول أبى النواس حيث قال

عجبت من ابليس فى كبره　　وخبث ما اضمره فى نيته

تاه على آدم فى سجده　　وصار قواد لذريتـه

(حكى) ان الخليفة هرون الرشيد قلق فى بعض الليالى قلقاً شديداً فاستدعى بوزيره جعفر البرمكى وقال ياوزير ان صدرى ضيق ومرادى الليلة نتفرج فى شوارع بغداد وننظر فى مصالح العباد بشرط ان لايعرفنا أحد من الناس وتنزل نرى التجار الاكياس فقال السمع والطاعة فقاموا فى الوقت والساعة وقلعوا ماعليهم من ثياب الملك والافتخار ولبسوا لبس التجار والخليفة والوزير جعفر ومسرور السياف الاكبر وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا بالامر المقدر شيخا قاعداً فى شختور فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا ياشيخ نشتهى من فضلك واحسانك ان تفرجنا الليلة فى مركبك وخذ هذين الدينارين اجرتك انتفع بها فقال لهم الشيخ ومن يقدر على الفرجة والخليفة هرون الرشيد ينزل فى حراقه صغيره الى الدجله ومعه مناديناد ى معاشر الناس كافة جيد وجيد من شيخ وصبى خاص وعام عبد وغلام كل من نزل فى مركب بالليل وثاق الدجلة ضربت عنقه أو يشنق على صارى مركبه وكان يتكلم الساعة واذا بالحراقة وهى مقبلة قال له الخليفة هرون الرشيد وجعفر البرمكى ياشيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبوا من هذه الاقبيه الى ان تروح الحراقه فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والله المستعان فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالحراقة اقبلت وفيها الشموع والمشاعل فقال لهم الشيخ ماقلت لكم ياستار لاتكشف الاستار فقال هرون الرشيد والوزير جعفر البرمكى أدخل بنا ياشيخ فى قبو من الاقبية حتى تمشى هذه الحراقة فدخل الى قبو ووضع مئزر اسود صاروا يتفرجون من تحت المئزر واذا بالحراقة موقدا قبلت والشمع قد فيها واذا فى مقدم الحراقة مشاعلى بيده مشعل من الذهب الاحمر يوقد فيه بالعود القاقلى

وعلى المشاعلى قباء اطلس احمر بطراز مزركش أصفر وعلى رأسه شاش موصلى وعلى كتفيه مخلاه من الحرير الاخضر ملآنة من العود القاقلى وهو يوقد به عرض الحطب ومشاعلى أخر بمؤخر الحراقة يمثله ومائتا مملوك واقفون ميمنه وميسره وكرسى منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء من الذهب الاصفر وبين يديه انسان كانه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم كانه مسرور بسيف مشهور وعشرون نديما فقال الخليفة ياجعفر قال لبيك ياأمير المؤمنين قال لعل ان يكون هذا احد أولادى اما المأمون أو محمد الامين فلما وصلت الحراقة اليهم واذا بالمشاعلى ينادى معشر الناس كافة الخاص والعام والجيد والردى والعبد والغلام جهاوات قد رسم خليفتنا هذا وكل من تفرج فى الدجلة أو فتح طاقته حل ماله وضرب رقبته ومن لا يصدق يجرب (قال) فتأمل الخليفة هارون الرشيد فى الشاب وهو جالس على كرسى من الذهب قد كمل بالحسن والجمال والبهاء والكمال ثم التفت الى الوزير وقال ياوزيرى قال لبيك ياأمير المؤمنين وقال والله ما ابقى شيئا من شكل الخليفة وهذ الذى بين يديه كانه أنت ياجعفر لا محالة والخادم الذى على رأسه كانه مسرور هـذا وهؤلاء الندماء كانهم ندمائى وقد حار عقلى فى هذا الامر فقال الوزير وأنا والله ياأمير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى ان غابت عن العين فعند ذلك أخرج الشيخ الشاختور الذى فيه الجماعة من تحت القبو وقال الحمد لله على السلامه الذى لم يصادفنا فقال الخليفة ياشيخ وهذا الخليفة ينزل كل ليلة فى الدجلة قال نعم ياسيدى له على هذا الحال سنه كامله فقال الخليفة ياشيخ نشتهى من فضلك واحسانك ان تأتى لنا ليلة غد فى هذا المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غربا وقصدنا التنزه ونحن نازلون فى الفندق فقال الشيخ السمع والطاعه ثم ان الخليفه وجعفر ومسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبى الى القصر وقلعوا ماعليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد فى مرتبته ودخلت الامراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار قال الخليفة هرون الرشيد لوزيره جعفر انهض بنا لنفرجة على الخليفة الثانى فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا

منشرحين الصدور وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الشختور لهم فى الانتظار فنزلوا عنده فى المركب فلما استقروا مع الشيخ المراكبى واذا الخليفة الثانى فى الحراقة وقد اقبلت عليهم فتاملوها واذا فيها مائة مملوك غير المماليك الاول والمشاعلية تنادى على عادتهم فقال الخليفة ياوزير هذا شيء لو سمعت به ماصدقت ولكن رأيت هذا عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب الشختور ياشيخ هذه عشرة دنانير سر بنا فى مساواتهم فانهم فى النور ونحن فى الظلام ننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظروننا فاطلق الشيخ الشختور فى مساواتهم وسار فى ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين فى أثرهم الى آخر البساتين . اذا بزريبة بطول الحراقة التصقت عليها واذا بغلامين واقفين ومعهما بغلة مسرجة ملجمة فطلع الخليفة الثانى وركب البغلة وسار بين الندماء وزعقت المشاعلية والجاوشية واشتغلت الحاشية وطلع هرون الرشيد وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة أنفار لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم وأحضروهم بين يدى الخليفة الثانى فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذى جاء بكم فى مثل هذا الوقت قالوا يامولانا اليوم كان قدومنا ونحن قوم غرباء تجار وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم وجاء هؤلاء وقد قبضوا علينا وأوقفونا بين أيديكم وهذا خبرنا فقال لهم الخليفة الثانى طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم لانكم قوم غرباء واذا كنتم من بغداد لضربت اعناقكم للمخالفة ثم التفت لوزيره وقال خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم ساروا الى ان وصلوا الى قصر عظيم الشأن محكم البنيان ماحواه سلطان قصر قام من التراب وتعلق باكتاف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج يدخل منه الى ايوان بفسقيه وشاذروان وستر مسبول وفرش يذهل العقول على عتبة الباب مكتوب هذان البيتان

قصر عليه تحية وسلام نشرت عليه جمائم الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت فتحيرت فى نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثانى الى القصر والجماعة فى خدمته الى ان جلس على

كرسى من الذهب مرصع بالدر والجواهر وعلى الكرسى بشخانة من الحرير الاخضر لايرى مثلها الا عند كسرى وقيصر مزركشة بالذهب الاحمر معلقة فى بكرة من الصندل رباطتها من الحرير الاصفر هذا وقد جلس الندماء فى مراتبهم وسحب سيف النقمة واقف بين يديه فدار النشاط واكلوا ورفعوا الخوان ولا يديهم غسلوا وحضرت المدام ووضعت الطاسات والاوانى وصفت الاباريق والكاسات والقنانى ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هرون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثانى لجعفر مابال صاحبك لايشرب فقال يامولاى له مدة ماشرب فقال الشاب عندى مشروب غير هذا يصح لصاحبك على شراب التفاح ففى الحال أحضر فقدم بين يدى هرون الرشيد وقال كلما وصل اليك الدور فاشرب من هذا ولا يزالون يشربون فى انشراح وتعاطى اقداح الى أن تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد لوزيره والله ياوزير لم عندنا آنيه مثل هذه الآنية فياليت شعرى من يكون هذا الشاب فبينما هم يتحادثان بلطافة اذ لاح من الشاب التفاتة فوجد الوزير يساور الخليفة فقال المساورة عربده فقال الوزير ماثم عربده الا أن رفيقى هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت الاجناد مارأيت أحسن من هذا النظام ولا افعل آنية هذا المدام الا ان أهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون فلما سمع الخليفة الثانى بهذا الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا باب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسياً من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسى وجلست عليه الجارية وهى كالشمس الصاحية وبيدها عود من صنعة الهنود وشدته وحنت اليه بعد ان ضربت أربعة وعشرين طريقه عليه فاذهلت العقول وعادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

لسان الهوى من مقلتى لك ناطق ... يخبر عنى أننى لك عاشق
ولى شاهد من جوف قلبى معذب ... وقلبى جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذى قد أذابنى ... وقلبى قريح والدموع سوابق

وما كنت أدرى قبل حبك ماالهوى ولكن قضا الرحمن فى الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفة الثانى هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلةالتى كانت عليه الى الذيل فاسبلت عليهالبشخانة وأتى ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها وجلس على عادته فلماوصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منهخادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جارية أحسن من الاولى وجلست على الكرسى وبيدها عود يكمد الحسود وانشدت تقول

كيف اصطبارى ونارالحب فى كبدى والدمع من مقلتى طوفانه مدد
والله ماطاب لى عيش أسربه وكيف يفرح قلب حشوه كمد

قال فصرخ الشاب وشق ماعليه من الثياب فارخوا عليه البشخانة وأتوا ببدلة غيرهاوعاد الىحالته الاولىمع ندمائه ودارتالاقداح وطابالانشراح فلماوصل القدح اليهضرب القضيب علىالمدورة ففتحبابوخرجمنهخادمحامل كرسياًوخلفه جارية فجلستعلى الكرسى جلسه تخلب العقول وأخذت العود وغنت تقول

ترىينصرمحال التهاجر والقلا ويرجع ماقد انقضى لى اولا
أيام كنا والديار تلمنا فىطيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرقشملنا من بعدهاتيكالمنازل والحلا
اتروم منى ياعذولى سلوة وأرى فؤادى لايطيعالعذلا
فدع الملام وخلنى بصبابتى القلب من أنس المحبة ماخلا
ياسادة نقضوا العهود وبدلوا لاتحسبوا قلبى لبعدكم سلا

(قال) فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ماعليه من الثياب ووقعالى الارضمغشياًعليهوسقط منهالقوى والحيلفارادوا أنيرخوا عليهالبشخانه على العاده فوقع حبالها بالاراده فلاحت من هرون الرشيد التفاته فنظر على أجناب الشاب أثر مقارع فقال الرشيد به النظرة والتأكيد لجعفر أنهشاب مليح الا أنه لص قبيح وماعند أحد منهخبر هل رأيتماعلى جنبيه من الاثر وقد أسبلت البشخانة عليه على العاده وأتى ببدلة غيرهافلبسها

وقد أفاق من غشيته فاستوى جالساً على العادة مع الندماء فالتفت منه التفاتة فوجد جعفر والخليفة يتحدثان فقال لهما ماالخبر يافتيان وقال جعفر يامولاى خير لاشك ولاخفاء ان رفيقى هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار وصحب ملوك وأخيار وقال ان الذى حصل من مولانا الخليفة فى هذه الليلة اسراف عظيم ولم أرى احداً فعل هذا الفعل فى الاقاليم لانه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شىء زايد فى العيار فقال الشاب ياهذا المال مالى والقماش قماشى وهذا من بعد انعامى على الخدم والحواشى فان كل بدلة شققتها هى لواحد من الندماء الحضار قد رسمت لهم ان العوض على كل بدله خمسمائة دينار فعند ذلك أنشد الوزير جعفر وقال

بنت المكارم وسط كفك منزلا ... فجميع مالك للانام مباح
واذا المكارم اغلقت أبوابها ... ما انت الا لغلقها مفتاح

(قال) فلما سمع الشاب من الوزير جعفر ذلك رسم له بالف دينار وبدله ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم شراب الراح فقال الرشيد ياجعفر اسأله عن الضرب الذى رأيناه على جنبه حتى ننظر مايقول فى جوابه فقال الوزير يامولاى لاتعجل وترفق والصبر أجمل فقال وحيات راسى وتربة العباس ان لم تسأله أخمدت منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال مالك مع رفيقك وماالخبر فقال خير يامولانا فقال سألتك بالله الاما اخبرتنى بخبره ولا تكتم عنى شيئاً من امره فقال يامولاى انه ابصر على جنبيك أثر سياط فتعجب من ذلك غاية العجب وقال ياللعجب الخليفة يضرب وقصده يعلم السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال لهم نعم اعلموا أن حديثى عجيب وامرى غريب لو كتب بالابر على أعماق البصر لكان عبرة لمن يعتبر وان واشتكى وبكى وانشد يقول

حديثى عجيب حاز كل العجائب ... وحق الاله قد عرف بالمواهب
فان شئتموا ان تسمعوا الى فانصتوا ... ويطرب هذا الجميع من كل جانب
واصغوا الى قولى ففيه أشارة ... فان كلامى صادق غير كاذب
لانى قتيل من غرام ولوعة ... وقاتلى فاقت جميع الكواعب

لها مقله كحله وخد مورد ويقتلنى منها قسى الحواجب
وقد حن قلبى أن فيكم أمامنا خايفة هذا الوقت ابن الاطايب
وثانيكموا يدعى الوزير بجعفر حقيقة يدعى صاحب وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة فان كان هذا القول حقا باصائب
فقد نلت ماأرجو على كل حالة وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر أنهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال الذى أعرفكم به فى ماأنا ياامير المؤمنين وانما سميت نفسى بهذا الاسم لابلغ ماأريد من أهل المدينة واسمى على بن محمد الجوهرى وان أبى كان من الاعيان ومات وخاف لى أموالا لاتأكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وزمرد وبهرجان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق وطواحين وعبيد وجوار وغلمان فلما كان فى بعض الايام وأناجالس فى حانوتى وحولى الحشم والخدم واذا بجارية قد اقبلت على بغلة وفى خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكانى وجلست وقالت أنت على بن محمد الجوهرى فقلت لها مملوكك وعبد ربك فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلى فقلت لها ياستى الذى عندى يحضر بين يديك فان أعجبك شىء يكون بسعد الملوك وان لم يعجبك شىء منه فسوء حظى وكان عندى مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شىء منها وقالت أريد أحسن مما رأيت وكان عندى عقد صغير شراؤه على والدى بمائة الف دينار ولم يوجد مثله عند أحد السلاطين الكبار فقلت ياسيدتى بقى عندى عقد من الفصوص والجواهر الذى لم يملكه أحد من الاصاغر والاكابر فقالت أرنى اياه فلما رأته قالت هذا الذى طول عمرى اتمناه ثم قالت بكم ثمنه فى الاسعار فقلت شراؤه على والدى بمائة الف دينار فقالت ولك خمسة آلاف زائدة فقلت لها ياسيدتى العقد وصاحبه فى الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لابد من الفائدة ولك المنة الزائدة وقامت من وقتها عجلة وركبت البغلة بسرعه وقالت ياسيدى نور الدين باسم الله قم صحبتنا لتأخذ الثمن فان نهارك اليوم مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معهن فى امان الى ان وصلنا الدار فوجدتها عليها السعادة لائحة وعلى

بابها مكتوب بماء الذهب واللازورد العجيب هذه الابيات

ألا يادار لايدخلك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار أنت لكل ضيف اذا ماضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرت بجلوسي الى ان يأتى الصيرفى فجلست على باب الدار ساعة لطيفه واذا بجارية خرجت وقالت ياسيدى أدخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة واذا بجارية خرجت الى وقالت ياسيدى تقول لك سيدتى ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت وجلست حيث أمرتنى واذا بكرسي من الذهب وعليه ستاره من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد وقعت فبان من تحتها تلك الجارية التى اشترت منى العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد فى عنقها فاندهش عقلى وحار ذهنى ولبى من رؤية هذه الجارية وحسنها فلما رأتنى قامت من على الكرسي وسعت نحوى وقالت يانور الدين هل رأيت جميلة مثلى فقلت ياسيدتى الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت ياعلى انى أحبك وما صدقت بك الا لما صرت عندى ثم انها طوقت على وعانقتنى فقبلتها وقبلتنى ثم جذبتنى وعلى صدرها رمتنى فلما علمت منى انى اريد ان أهم بها قالت ياعلى أتريد ان تجتمع بى فى الحرام والله ماأرضى لك بن الانام بقبيح الكلام فانى بكر عذراء مادنى منى أحد ولست مجهولة فى البلد أتعلم من أنا فقلت لا والله وحلفت لها يميناً فقالت أنا الست دنيا بنت خالد البرمكى وأخى جعفر فلما سمعت منها ذلك جمعت خاطرى عنها وقلت ياسيدتى مالى ذنب فى التهجم عليك أنت التى اطمعتينى فى احسانك والوصول الى جانبك فقالت لابأس عليك ولا من الاحسان اليك فان أمرى بيدى والقاضي ولى عقدى والقصد ان اكون لك وتكون لى ثم أنها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين على بن الجوهرى قد طلب زواجى ودفع لى هذا العقد مهرى وأنا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضي حمد الله تعالى واثنى عليه وكتب الكتاب فدخلت عليها بعد ان أعطيت للقاضي شيئا ماله حساب وأحضرت الاقداح باحسن نظام فلما شعشعت الخمرة فى رؤسنا امرت جارية

عودية أن تغني فانشدت تقول

قلبي ومالي بباب رجاكموا   لاابتغي في الكون غير رضاكمو
ياجيرة جاروا على ببعدهم   حنوا علينا وارحموا مضناكموا
حاشاكموا ياسادتي حاشاكموا   صبا معنا مغرما بهواكموا
بالله جودوا وارحموا لمتيم   لايستمع فيكم حديث سواكموا

(قال) فاطربتنا الجارية بحسن غنائها ولم تزل الجوارى يغنين وينشدون الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك أخذت العود الست دنيا وانشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياسي   انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم لصب فى هواك متيم   يابدر تم أنت سيد الناس
انعم بوصلك كم أبيت بليلة   اجلوا جمالك فى ضياء الكاس
مابين ورد جمعت ألوانه   مع نرجس ايضا وحن الآس

(قال) الشاب ثم انى أخذت منها العود وضربت وغنيت هذه الابيات

سبحان ربى جميع الحسن اعطاك   حتى بقيت أنا من بعض اسراك
يامن لها ناظر تسبى الانام به   خذى الامان لنا من سحر عيناك
ماء ونار فى حديثك جمعاً   والوردجوزى نبت فى وسط خداك
أنت الغرام لقلبى والنعيم له   فما امرك فى قلبى واحلاك

(قال) فلما سمعت منى ماقلت فرحت فرحا شديداً ثم أنها صرفت الجوارى وقمنا الى أحسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان ونزعت ماعليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بكرا وفرحت بها فرحا لم أجده فى عمرى منها وفيها انشدت

ياليل دم لى لاأريد صباحا   يكفى بوجه معانقى مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدى   وجعلت كفى للمنام مباحا
هذا هو الفوز العظيم فر لنا   متعانقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهراً كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات يوم من الايام قالت يانور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وأنت

أقعد على هــذا السرير فاخذت جواريها وذهبت الى الحمام فوالله ياأخوانى مالحقت تخرج من رأس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز وقالت يانور الدين الست زبيده تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك فقلت والله على عينى ماأقوم من مقامى حتى تأتى الست دنيا فقالت العجوز يانور الدين لاتخلى الست زبيده تصير عدوتك قم كلمها وارجع فقمت من وقتى اليها والعجوز أمامى الى ان وصلتنى الى الست زبيده فلما وصلت اليها قالت يانور الدين أنت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبد رقك فقالت صدق الذى وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لى شيأحتى أسمعك فقلت السمع والطاعه فأتتنى بعود فغنيت عليه وانشدت اقول

قلب المحب مع الاحباب معتوب وجسمه بيدى الاسقام منهوب
ساقوا الركائب من زمت حمولهم الا وكان له فى الطعن محبوب
استودع الله فى حيكم قمرا يهواه قلبى وعن عيناى محجوب
يرضى ويغضب ماأحلى تدلله وكل مايفعل المحبوب محبوب

فقالت لى حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى فقم الى دكانك قبل ماتجىء اليك الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض وخرجت العجوز امامى الى ان وصلتنى الى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير فقعدت عند رجليها وصرت أكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها ورفستنى ورمتنى من على السرير وقالت يانور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت الى الست زبيده ووالله لولا خوفى من الهتيكه والفضيحه لخربت قصرها على رأسها ثم قالت ياصواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذابه فلا حاجة لنا به فتقدم ذلك الخدام الى وشرط ذيلى وعصب عينى وأراد ان يضرب رقبتى فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها ياستناه ماهو باول من اخطا وما عرف خلقك وأنت ماتبغضيه ومافعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت والله لابد ان أؤثر فيه أثرا ثم أنها امرت بضربى فضربت على أضلاعى الضرب الذى رأيتموه وامرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر

ورمونى ورجعوا وتركونى فلمت نفسى ومشيت قايلاقايلا الى ان وصلت الى منزلى وأحضرت جراحا أوريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام وجئت الى الدكان وأخذت جميع مافيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ماجمعهم أحد الملوك يرجع معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحرانيه بالف ومائتين من الذهب العين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من الخدم كل واحد فى وظيفته وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذه الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على أثر ثم أنه بكى وان اشتكى وانشد يقول

والله ماكنت طول الدهر ناسيها ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر فى تكوين خلقتها سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لى الا محبتها فكيف حال الذى قدبات ناعيها
وصيرتنى حزينا ساهراً دنفا والقلب قد حار منى فى معانيها

(قال) فلما سمع هرون الرشيد كلام الشاب وما بداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شىء سبباً ثم أنهم طلبوا من الشاب الانصراف واضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين الى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم فى منزلهم الجلوس غيروا ماكان عليهم من الملبوس ولبسوا أثواب الموكب والملك والزينه وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب ياوزيرى على بالشاب فخرج عليه بالحشم والخدم وسار الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر أجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامى حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الوله عليه فى حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفة ورأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك ياأمير المؤمنين وحامى حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما أعطاك وجعل الجنة مأواك والنار مأوى الاعداء وانشد يقول

لازال بابك كعبة مقصودة   وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد باسرها   هـذا المقام وأنت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام وأظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه وأجلسه بين يديه وقال له يانور الدين أريد ان تحدثنى بحديثك الليلة مسكين فانه من أعجب الامور فقال الشاب العفو ياأمير المؤمنين اعطنى منديل الامان ليهدأ روعى ويطمئن قلبى فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب يتحدث بالذى جرى له من أوله الى آخره فعلم الخليفة من غير اطاله ان الصبى عاشق لامحاله فقال الخليفة أتحب ان أردها اليك يامسكين قال نعم ياأمير المؤمنين ثم انشد

إن رمت احسانا فهذا وقته   أو رمت معروفا فهذا حينه

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر أختك الست دنيا بنت الوزير يحيى فاحضرها فقال لها أتعرفين من هذا فقالت أين من النساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يادنيا كم عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها الى آخرها والامر لايخفى وان كان مستورا وانه لمستغفر مما جرى وأسال من فيض الفيض العفو عنى فضحك الخليفة وأحضر القاضى والشهود وعقد له ثانياً عليها وحصل له سعد السعود وجعله نديمه وزاد فى تكريمه وعاش بقية عمره فى أهنا عيش ونعمه يجالس الخليفة فى الليل والنهار وتؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ماانتهى الينا من التلخيص والله أعلم

(حكى) أن الرشيد أرق ذات ليلة أرقا شديدا فاستدعى جعفر وقال أريد منك أن تزيل مابقلبى من الضجر فقال الوزير ياأمير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله أشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وأنت قادر عليها فقال الرشيد وما هى ياجعفر فقال له قم بنا الآن حتى نطلع فوق سطح هذا القصر ونتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحت كما قيل

كانما حسن السماء وزهرها   قد رقمت فيها أفانين الصور
فكانما البدر حين لاح   فى بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد ياجعفر ماتلتفت نفسى الى شىء من ذلك فقال ياأمير المؤمنين افتح شباك القصر الذى يطل على البستان وتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم رائحة تلك الازهار واسمع الناعورة التى كانها أنين محب فارق محبوبة وهى كما قال بعض واصفيها

وناعورة غنت وغنت وقد حوت تعبر عن حال المشوق وتعرب

ترفض عطف البال تيها لانها تغنى له طول الزمان ويشرب

وأما أن تنام ياأمير المؤمنين الى أن يدركنا الصباح فقال ياجعفر ماتلتفت نفسى الى شىء من ذلك قال قم نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد مواليا وهذا يقول دو بيت وهذا يعمل كيت وكيت فقال الرشيد ماتلتفت نفسى الى شىء من ذلك قال جعفر قم ياأمير المؤمنين ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الخيل العربيات ونتفرج على حسن الوانها بين أدهم كالليل اذا أظلم وأشقر وأشهب وكميت وأحمر وأخضر وأبلق وأصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ماتلتفت نفسى الى شىء من ذلك فقال جعفر ياأمير المؤمنين عندك فى قصرك ثلثمائة جارية مابين جنكيه الى عوديه الى كوفيه الى قانونيه زامرة الى مغنية الى راقصة الى سنطريه احضر الجميع وحضر العقار المروق فلعل أن يزول مابقلبك من الضجر فقال ماتهم نفسى الى شىء من ذلك فقال جعفر ياأمير المؤمنين مابقى الاضرب عنق مملوكك جعفر فانى قد عجزت من اجادة هم مولانا فقال ياجعفر أما سمعت قول ابن عمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرج أمتى ثلاث أن يرى بعينه شيئا مارآه أو يسمع شيئا ما سمعه أو يطا مكانا ما وطأه فيتفق ياجعفر أن يكون فى بغداد مكانا ماوطأناه أو شىء ماسمعناه أو موضع ما رأيناه فقال جعفر أتأذن لى ياأمير المؤمنين أن أطلع الى مجلس النوبة وأنظر احدا من المسافرين أحضره بين يدى أمير المؤمنين لعله أن يحدثك بحديث ماسمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ ابى الحسن الخليع الدمشقى قال فلما رأى أمير المؤمنين سلم فأحسن وترجم فأبلغ ثم قال ياأمير المؤمنين وحامى حوزة الدين

وابن عم سيد المرسلين اطال الله بقاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعدائك لاخمدت لك نار ولا أغيظ لك جار وانشد

دام لك العز والبقاء ما اخلف الصباح والمساء ودمت مادامت الليالى
بعدة مالها انقضاء الناس ناس بكل أرض وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس ياأبا الحسن وحدثنا بحديث عجيب مليح لم نسمعه قط فقال الشيخ ياأمير المؤمنين أحدثك بشيء سمعته باذني أو بشيء رأيته بعيني قال الرشيد ياشيخ أبا الحسن التى تراه العين أحسن من الذى تسمعه الاذن فقال الشيخ ياأمير المؤمنين أفرغ لى ثلاث أشياء منك فقال ماهى الثلاثه فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات ياأبا الحسن فقال ياأمير المؤمنين لى عادة انى اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد سليمان الزينبى واقعد عندة احدثه الاسمار وأورد له الاخبار وانشد عليه الاشعار ولى عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لى فى سنة من السنين انى سافرت الى البصرة على عادتى ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثانى والثالث فركب الى الصيد وتركنى فى منزله واوصى ارباب دولته فى خدمتى واكرامى الى ان يعود واوصى الطباخ فعمل لى من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لى من الاكل حتى ثقل على فؤادى فقلت مايصرف عنى هذا الاالمشى ولى عدة اسفار الى البصرة ماعرف فيها مكانا وأريد اليوم اجعلها حجة وفرجة ثم انى نزلت اتمشى فى شوارع البصرة فعطشت عطشاً شديداً وناهيك بعطش السمك فقلت فى نفسى ان تناولت من السقاء لاطيب نفسى لانه يشرب منه اصحاب الامراض وكبرت نفسى على ان احملها الى شاطىء الدجلة وقلت مالى ان اقصد بعد دور المحتشمين واطلب منها شربة من ماء فاتيت الى درب فيه خمسة أدوار دران مقابلتان لداران ودار صدرانية قد قامت من التراب وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروش عليها حصر عبدانيه والبـاب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج ومسامير الفضه وستر من الحرير الاصفر المدثر ومكتوب عليه هذه الابيات

الا يادار لايدخلك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف اذا ماضاق بالضيف المكان

قال فقلت لنفسي من هذه الدار اشرب اليه فاتيت الى الباب فسمعت صوتا وقائلا يقول

بالله ربكما عرجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما مابال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة ماضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(قال) فقلت ياحبذا ان كان قائل هذا الصوت شخصا صوته على قدر صوته واحتشمت ثم انى قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الى الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومددت طرفي واذا أنا بدارة قد اقبلت عليها السعاده وزالت عنها الشقاوة ورأيت في صدر المكان ايوانا وبركة وشاذر وانا في ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جاريه نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيره اللاصقة أشهر من علم تربية العجم بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت قتلت كما قال بعض واصفيها

كانها فرغت من ماء لؤلؤة في كل جارحة من حسنها قمر

الا ان الجارية ياأمير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند رأسها الطبيب وهو يجس يدها ويقول ياست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شيء تشتكيه اكثر من السهر وجريان الدمع لعل البنت في قلبها هوى من أحد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت مدامعي بالذى اخفى من الالم
فان ابح افتضح من غير منفعة وان كتمت فدمعي غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما اكابده من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم

التفتت الي وقالت من أين ياشيخ فقلت لها من بغداد حماني العطش الى اذا اتيت الى هنا فقالت لعل يكون على يدك فرجي فانا اكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رددت على الجواب فانا اعطي لك خمسمائة دينار ثم كتبت وهي تقول اما بعد يعجز لساني ويكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وأنا القائلة حيث اقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم   وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ماذكرتم   جرى فوق خدي لايطاق لا رد
فوالله ماأحببت ماعشت غيركم   ولا كنت الا ماحييت لكم عبد
سلام عليكم مامر فراقكم   فلا كان منكم ماجرى آخر العهد

اما بعد فهذا كتاب من ليلها في تحبيب ونهارها في تعذيب لاتركن الى عاذل ولا تصغي الى عاذل وقد غلبتها أيدي الفراق ولو شرحت بعض ماعندها ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الله الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق وانشدت

أحبة قلبي وان جرتمو   على فكل المنى أنتم رحلتم وفي القلب خلفتمو
لهيبا فهلا ترفقتمو   واودعتموا يوم ودعتمو باحشاي نارا واضرمتمو
وما كنتم تعرفون الجفا   على شؤم بختي تعلمتموا

فالف الف لااوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ماحن الغريب الى الاوطان فرحم الله من قرأ كتابي وتعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا مارق دمعي لفرقتكم   يوم الفراق ولا كفت عواديه
غبتم فلم يبق لي من بعدكم جلد   ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم أمني فؤادي بالهوى كذبا   ولست أول من بانت غواشيه

(وقال) ثم أنها طويت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولته لي فاخذته وأتيت الى دار الامير عمرو فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة أنتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان

اشقر من الخيل الضمر يساوى ملك كسرى وقيصر من أولاد الابجر الذى كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير على ظهره كانه البدر فى منزلته والمماليك قد احدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو نجد أسيل وطرف كحيل وردف ثقيل وله عذار أخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال

قمر تكامل فى نهاية حسنه ۞ مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه ۞ والشمس تغرب فى شقائق خده
ملك الجمال بأسره فكانما ۞ حسن البرية كلها من عنده

(قال) أبو الحسن فما امهلته دون ان قبلت ركابه فلما نظرالى ترجل واعتنقنى وأخذ بيدى وادخلنى الدار وجعل يقول ماظن الزمان يأتى بهذا غير انى رأيته فى منامى (قال) فلما جلس على البركة اقبل على يحدثنى ساعه واذا بالمائده قد وضعت بين ايدينا واذا عليها الوان الطعام من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر بعلبكات السكر فقال لى بسم الله كل ياشيخ ابا الحسن فقلت لا والله يامولاى ماأكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الاان قضيت لى حاجتى فقال يأبا الحسن كان هذا من الاول أين الكتاب الذى للست بدور فقلت ياسيدى وماهى الست بدور فقال التى جئت من عندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ماهو كيت وكيت فقلت يامولاى اكنت حاضراً فقال لو كنت حاضراً فلأى شيء كتبت الكتاب فقلت لو جاء أحد من عندها وأعلمك فقال انه لايجسر أحد من غلمانها يقابلنى فقلت ولا راح أحد من عندك اليها فقال هى اخس واحقر من ان يمضى اليها أحد من عندى فقلت ياسيدى الغيب لايعلمه الا الله اماسمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون ۞ ترى مالا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش ۞ الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يامولاى ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه فى البركة فصعب على فلماعلم منى ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندى كل واشرب وخذ منى الخمسمائة دينار التى وعدتك بها الست بدور وأنا احب اليك منها

(قال) فلما سمعت كلامه ياأمير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهايه ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين أيدينا البواطى والكاسات حيات فتناول الامير عمر وشرب وسقانى وأنا احدثه وأنادمه الى ان قرب الغروب فقال ياأبا الحسن مالذة الامير اذا شرب الى المساء من غير غناء فقلت يقال الشراب بلا طرب ولاسماع الدفن اولى به فقال لى قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحضيرة نقشت بالذهب اللازورد العجب وهى مزخرفة قد غبق أزهارها وضحكت سلاحيتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو واجلسنى بجانبه وقدمت بين أيدينا الشموع وأسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحضيرة مليحه ثم صفق على كفه واذا بثلاث جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عوداً والثانية تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نقرت الدفية على دفها واصلحت العودية عودها وزمرت الزامره بمزمارها فخيل لى ان المجلس الذى نحن فيه يرتص بنا ثم ان الدفية غنت تقول

احبابنا انى من يوم فرقتكم   على فراش الضنا مازلت مضطجعا
داويت قلبى بحسن الصبر بعدكم   عسى يفيق من الاسقام مانفعا

فوالله ياامير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى وانشدت

أمؤنس طرفى لاخلا منك ناظرى   وجامع شملى لاخلا منك مجلسى
وياساكن قلبى وما فيه غيره   يحل فما استوحشت فيه لمؤنسى

قال والله ياامير المؤمنين لم نتمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية نحو الدفية وقالت لها يافلانة تحسنى ان تقولى مثل هذا فقالت الدفية أنا احفظ ابياتا أظن انك لاتحفظين لهن وزناولا قافيه ولاعروضا قالت العودية هات ماعندك فنقرت الدفية على دفها بانامل ها ورفعت صوتها وهى تقول

كررت ورددت ذكرهم فى مسمعى   فهم الشفاء لتألمى وتوجعى
اقصر بعذلك ياعذولى فان لى   قلباً لعذلك لايفيق ولا يعى

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع على الارض مغشياً عليه فقالت

الجارية يامولاى انه قد نام سيدى فان اخترت ان تنام فقم نم فى مرقدك وان اخترت الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما أصبحت قمت وسألت عن الامير عمرو فقالت بعض الجوارى أنه خرج الى الصيد والقنص فاخذت شاشا لالبسه فرأيت تحته كيسا فيه الف دينار فاخذته وأتيت الى الست بدور واذا بها واقفة خلف الباب تنتظر وهى تقول

يارسولى الى الحبيب اعتذر لى ... فلعل الحبيب يقبل عذرى

ثم قل للحبيب بلطف ... اى ذنب جرى فاوجب هجرى

فلما رأتنى قالت ياشيخ اقمح ام شعير فقلت لا والله ماهو الاروان والله مارضى يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى صرة فيها مائة دينار وقالت اذهب يااباالحسن مامضى الليل واتى النهار على شىء الاوان لااله غيره ويغير الله مافى القلوب ثم انها اغلقت الباب فى وجهى ومضت وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبى فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده اياما وأخذت رسمى وعدت الى بغداد ثم انى فى السنة الثانية سافرت الى البصرة على ماجرت العادة به ومضيت الى الامير عمرو بن جبير الشيبانى لاتمتع بذلك الوجه المليح والقد الرجيح فوجدت الدار متغيرة الآثار والعبيد لابسين السواد فلما رأيت ذلك بكيت وانشدت اقول

يادار أين ترحل السكان ... وسرت بهم من بعدها أذعان

بالامس كان بك الضياء مع الهنا ... واليوم فى عرصاتك الغربان

فسمعنى بعض الغلمان فظهر وقال من ذا الذى يبكى على ديارنا ويندب منازلنا كفى بنا ماعندنا فقلت له ياعبد الخير أن صاحب هذه الدار كان من أصدق الناس فافعل الزمان به فقال لى الغلام يامولاى هو فى قيد الحياة وهو يطلب الموت فلا يجده فقلت له بالله عليك خذلى الطريق فقال لى الغلام يامولاى من اقول فقلت قول الشيخ أبو الحسن الدمشقى المسامر قال فدخل الغلام وغاب ساعة وغاب وعاد وقال لى بسم الله أدخل فدخلت فوجدت الامير عمرو نائما وعند رأسه طبيب يجس يده ويقول له يامولاى الضارب ضارب والساكن ساكن لابردولا حمى ولاتشتكى غير سهر الليالى وجريان الدمع فلما سمع الامير

عمر وكلام الطبيب بكى وانشد

قال الطبيب لقومي حين جس يدي   هذا فتاكم ورب البيت مسحور
فقلت ويحك قد قاربت في صفتي   عين الصواب فهلا قلت مهجور

ثم أنه ناوله كتابا فيه بضعة دنانير فاخذها الطبيب وانصرف ثم التفت عمرو الى وقال ياشيخ اباالحسن أما تنظر الى هذا الحال الذى وقعت فيه فقلت له حاشا من الاسواء ماسبب ذلك قال ما اعرف له سبباً الاان هجر الست بدور قد قتلني وحبها اضنى فؤادي فقلت يامولاى العام الماضي تركت أميرا واليوم أتيت لقيتك أسيرا فما السبب فقال الامير عمرو ياشيخ انى فى ليلة من الليالى ركبت فى الشط وقد شحنت مركبى من سائر الازهار والفواكه والرياحين والطعام والمدام واوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا فى البسط وبقينا فى لعب وضحك الى ثلث الليل الاول واذا قد اقبل من صدر الشط مركب وهى تعزف بالطارات والدفوف وتضيء كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح قدم بنا حتى نتفرج وننظر اينا أحسن تعبية مركبنا ام هذه المركب فمددت عيني فرأيت صاحبتى الست بدور وهى بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهى مثل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عينى عليها كانما رمت فى قلبى أسهما فقلت فى نفسي ما فرقت هذا الوجه المليح بذنب ثم انى تذكرت العهد القديم الذى كان بيننا فلم أقدر أصبر فمددت يدى وأخذت تفاحة ورميتها الى الست بدور فالتفتت فرأتنى فقالت للملاح ارجع بنا الى البر نحن خرجنا هذه الليلة ننشرح فارسل الله هذا الفتى ينغص علينا عيشنا فلما سمعتها شتمتني أضرمت النار فى قلبي ثم قلت لنفسي انت كنت المطلوب ثم صرت الطالب فلم يهنأ لى عيش فى هذه الليلة وقلت للملاح أرجع الى الشط ثم أنى نزلت ومضيت الى منزلى وما ذقت طعم المنام فلما أصبحت لم يقر لى قرار وصرت اترقب أن ياتى أحد من عندها ثلاثة أيام فلم ياتى لى أحد فبعثت من يعرض بذكرى لها فدعت عليهم وشتمتهم فكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلم ترد لى جوابا وقد رميت روحى على كل كبير فى البصره فيدخلون عليها فلم تقبل ولم تزداد الاجفاء ولى مده

أنتظرك ياشيخ ابا الحسن حتى أبعثت معك كتابا وأنا أحاف لك أن هى ردته لك جوابه أعطيتك الف دينار وان لم تردجوابه اعطيتك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة وقرطاس وكتب فى أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكو اليك الصبابة ويسالك بالله أن تردى جوابه أما بعد يعجز لسانى ويكل جنانى مما أنا فيه من طول السهر ودوام الفكر وبكى لبكائى صم الحجرفالف الف لا اوحش منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولنى أياه فاخذته واتيت به الى الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحاله الاولى عليه ستر مرخى وبواب وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس خاليا من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم أنى تقدمت الى الخادم وقلت له قم ياولدى ادخل واستأذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقى يطلب الدخول فغاب ثم عاد قال بسم الله أدخل فدخلت فسمعت بدور وهى تقول

ولأصبرن على الزمان وجوره حتى يعود كما أريد واشتهى

قال فلما دخلت رايتها قاعدة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح عليها فتقدمت وقبلت يديها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كأنها عمود مرمر على الغلالة مكتوب هذه الابيات

فاقبلت فى غلالة زرقاء لازوردية كلون السماء
فتأملت فى الغلاله التى ليل الصيف فى ليل الشتاء
ليتنى كنت للمليحة عقدا أو برقعا للوجه مثل الرخاء
أو قميصا من الحرير خفيفا لاصقا للفؤاد والاحشاء
ضربتنى بخنجر العشق حتى صرت ملقى مخضبا بدمائى
تركتنى على الطريق ونادت من يصلى على قتيل هوائى

ثم أنى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدلة قماش وغيرت ما كان عليها وجلست ثم أمرت باحضار المائدة وقالت بسم الله كل يا أبا الحسن فقلت لا والله ما اكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الاول لكن والله قد وقعت من عيننا برواحك الى الامير عمر وقبل مجيئك الينا فقلت لها انا ما رحت فقالت تكون شيخا وتكذب

نت ما عبرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك منه كذا وكذا وهذا الكتاب فى طى عمامتك وبالاماره قال لك ان ردت الجواب اعطيتك الف دينار وان لم ترد الجواب اعطيتك مائة دينار فقلت ياستى من اعلمك بهذا فقالت اليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون   ترى مالا يراه الناظرين

وانا ياشيخ أبا الحسن أعشق منه وارى اكثر ممن يراه فقلت صدقت يامولاتى كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وعرفته وبصقت عليه وداسته ورمته فى البركة فلما رأيت ذلك قلت فى نفسى هذا بذاك وقرض الدين لابد له من وفاه الا أنى حصل لى بعض غيظا للالف دينار التى تفوتنى فنظرت الى وعرفت منى ذلك فقالت ياشيخ أبا الحسن غيظك من ان كان وعدك بالف دينار فبت الليلة عندى وكل وأشرب والتذ واطرب وخذلك غدا منى الف دينار وامض فى وداعه الله فقلت ياسيدتى يكاد الامير عمر وان يموت فقالت دعنا من هذا الكلام ثم أن المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفايه فلم افرغنا قالت ياشيخ تعرف لعب الشطرنج قلت ماالعب الاعلى الحكم والرضا فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضعت بين ايدينا ولعبت معها الدست الاول فغلبتنى فامرت الجوارى أن يرمونى فى البركة فمسكونى ورمونى فى البركة وضحكت على ساعة ثم اخرجونى وقد ابتلت جميع حوائجى فلما راتنى على تلك الحالة امرت ببدلة من القماش من أفخر الملبوس فلبست ثم قالت أتلعب أيضا على الحكم والرضا قلت نعم فلعبنا فتغايرت عليها وأتيت لها بحكاية لطيفة مشغلة واشغلتها وسرقت القطع الى أن غلبتها وقلت اريد الالف دينار وجواب الكتاب فاعطتنى الالف دينار وطلبت الدواة والقرطاس وأطرقت رأسها وكتبت تقول

الا ياعمرو كم هذا الغناء   وكم هذا التجلد والاذاء

كتبت الى تشكو ما تلاقى   من الاسقام اذ نزل القضاء

فسقم لا يزل بطول دهر   وداء ماله فى الدهر داء

ولو ساعدتنا ياعمرو يوما   لساعدناك اذا نزل البلاء

فعش صبا ومت كمدا حزينا   فواحدة بواحده جزاء

فلما فرغت ناولتنى الورقة فقرأتها فقلت ياستى بالله عليك لا تفعلى وارحمى الامير عمرو واكتبي له غير هذا فقالت ياشيخ انت رسول والا فضولى وطفيلى فقلت فضولى وطفيلى ويغيظ القطط ويخاف أنه مايبيت الا فى الوسط ويغنى بليت بكم فضحكت من كلامى وقالت حكمتك فى نفسى فقلت ياست بدور أين تلك المحبة التى كنت تحبينها للامير عمرو فلو ابصرتيه ما عرفتيه من شدة ما يقاسى من الاسقام والآلام والامراض فلما سمعت ذلك قالت اخبرنى من اقوى شيء به من المرض فقلت ياسيدتى ما أقدر أصف لك بعض ما فيه من الم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز على ما وصفت لى عنه وروحى لروحه الفداء فالحمد لله الذى جعل اجتماعنا على يديك ثم دعت بقرطاس وكتبت فى أول الكتاب بسم الله ثم أنها أبتدأت تنشد

وصل الكتاب فلا عدمت أناملا عنيت به حتى تضوع طيبا
ففضته وقرأته فوجدته لخفى أوجاع القلوب طبيبا
فكان موسى أعيد لامه أو ثوب يوسف قد اتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهى ان شوقها شديد وغرامها ما عليه من مزيد وما مولها من الحميد المجيد أن يجمع شملها بك قبل أن تريد وأقول

اشتاقكم حتى اذا نهض الهوى لمقامكم قعدت بى الايام
والله أنى لو وصفت صبابتى فنى المداد وقلت الاقلام

ثم أنها نثرت فيه ماء المسك والطيب وطوتها وحققتها وناولتنى أياها أخذتها وقمت مسرعا وانا فرحان الى أن اتيت الى دار الامير عمرو فدخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحب بيننا اسحرا من القرطاس اصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآنى قال لى اقمح أم شعير فقلت له قمح مغربل ليس فيه بخر ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه فلما فهم معناه تهلل وجهه بالفرح فبكى وقال

هجم السرور على حتى أنه من عظم ما قد سرنى ابكانى

ياعين قد صار البكاء لك عاده تبكين من فرح ومن احزان

فلما فرغ من البكاء قال لى ياشيخ ما اظن ان الحديد يلين ولا الصخر وب لعل ان تكون صنعت هذا الكتاب من عندك فقلت يامولاى والله سمعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبنى اذ هى عبرت علينا فطر فى قوامها .

فلما رآها الامير نهض قاعاورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة مانية ثم تقدمت الى وقالت يامولاى المثل يقول العصفور يتقلى والصياد يتقلى وانتم تقولون واطرباه وانا اقول واحزناه فقالت بدور صدق الشيخ اعطه الذى وعدته به فقال الامير عمرو لبعض غلمانه اعط الشيخ ابا الحسن الفا وخمسمائة دينار يستحق والله اكثر من ذلك فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولنى اياه واعطتنى الست بدور مثله ثم انى ودعتهم وخرجت فتعجب الخليفة وقال ما قصرت ياشيخ ابا الحسن خذ من جعفر الف دينا لانه هو الذى ازال عنه ما كان يجده فقال ابو الحسن صدق الوزير وابقاه الله تعالى ثم انه قبض الالف دينار ومضى الى منزله .

(وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم من الرشيد)

والقصة فى ذلك ما رواه ابراهيم بن اسحق بن ابى نورزاهر بن صقلاب قال بلغنى انه كان لهرون الرشيدى مجلس بالليل مع جعفر البرمكى فقال يوما لا يطيب لى ذلك الا بحضر اختى ميمونه ولكن لا يجوز ان اكتب لك عليها الا باباحة النظر من غير ان تقربها فاتفق على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشها فيه وكان لجعفر البرمكى امرأه تزين له الجوارى كل ليلة فجاءت ميمونة لها وارشتها بمال فزينتها له وأدخلتها عليه فظن أنها جارية فواقها فلما أصبحوا قالت له أنا ميمونه وقد كنت اسألك ان تساعدنى على مودتك فتابى فلما آيست منك احتلت عليك بما رأيت فى هذه الليلة وان لم نواظب لاكونن سبباً فى ساب نعمتك وهل أنت الازوجى فقال لها جعفر ويلك أهلكتينى واهلكت نفسك وكان كما قال ولم يزرها حتى بان أمرها للرشيدى فهذا كان سبب قتل

البرامكه وهنا ابتداء الحديث (قال) المبرد سبب زوال نعمة البرامكة ان الرشيد يوما من الايام راكبا الى الصيد ومعه اسماعيل بن يحيي فبينما نحن نسير اذ نظر الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لى يااسماعيل لمن هذا فقلت هو لاخيك جعفر بن يحيي فالتفت يميناً وشمالاً الى من معه فى موكبه فاذا هو شرذمة يسيره ثم نظر الى الموكب الذى فيه جعفر فلم يره فقال يااسماعيل مافعل جعفر وموكبه فقلت ياسيدى قد مضى اخوك فى طريق ولم يعلم بموضعك فقال ماراً نا اهلا ان يزيننا ويحملنا بجيشه فقلت العفو ياامير المؤمنين لو علم بمكنك ماتعداك وماسار الا بين يديك واعتذرت بما حضرلى من الكلام ثم سرنا حتى انتهينا ضيعة عامرة ومواشى كثيرة وعمارة حسنة وكان الطريق يدور عليها فدرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى البيد والى كثرة الغلال فيه والمواشى فصار يتأملها فالتفت الى وقال يااسماعيل لمن هذه الضيعة قلت لاخيك جعفر بن يحى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم يزل يمر بكل ضيعة أعمر من الاخرى وكلما مر على ضيعة وسألنى قلت لجعفر بن يحى حتى وصلنا الى المدينة فلما أردت وداعه والانصراف الى منزلى نظر من كان حواليه نظرة فعلموا ما أراد فتفرقوا و بقيت أنا وهو فقال يااسماعيل قلت لبيك ياأمير المؤمنين فقال أنظر الى البرامكة أغنيناهم وأفقرنا أولادنا وأغفلنا أمرهم فقلت فى نفسى بايـه والله قلت لماذا ياأمير المؤمنين قال نظرت لهؤلاء وغفلت عن هؤلاء لانى لاأعرف لاحد من الاولاد ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينه فكيف بما هو لهم غير ذلك على هذا الطريق فى سائر البلدان فقلت ياأمير المؤمنين انما البرامكه عبيدك وخدمك والضيعات وأموالهم وكل ماعلكون لك فنظر الى نظرة جبار عنيد ثم قال ماعد البرامكة بنى هاشم الاعبيدهم وأنهم لهم الصولة وان لانعمة لبنى العباس الا والبرامكة انعموا عليهم بها فقلت الامير ابصر من غيره بخدمه ومواليه فقال والله يااسماعيل انك لتعلم أنى قلت هـذا وكانى أراك ان تكلمهم بكلامى فتتخذنى لك عندهم وانى آمرك ان تكتم هذا الامر فانه ماعلم به أحد غيرك ومن بلغهم شىء مما جرى علمت أنه ماافشاه الا أنت فقلت ياامير المؤمنين امنه بالله ان يكون مثلى .

يفشي سرك قالو وكان هذا القول أول ماظهر من أمر البرامكه ثم ودعته
وانصرفت متفكراً فى ايقاع الحيلة عليهم فلما كان من الغد بكرت اليه وجلست
بين يديه وكان فى محل يشرف على الدجلة من شرقي مدينة باب السلام وبازائه
منزل جعفر من الجانب الغربى وكانت المراكب من جميع الاصناف من قائد
وأمير وعامل يردون كل يوم الى قصر جعفر فالتفت الى وقال يااسماعيل هذا
ماكنا فيه بالامس أنظركم على باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب وأنا
ما على باب دارى أحد فقلت ياامير المؤمنين ناشدتك الله ان لاتعلق نفسك
بشيء من هذا وان جعفر انماهو عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك
اذا لم يكن الجيش على بابه فعلى باب من يكون وانما بابه باب من ابوابك فقال
يااسماعيل انظر الى دوابهم الست ترى أعجازهم الى قصرى وتورث بازائنا
ونحن ننظر اليها والله هذاهو الاستخفاف بعينه والله لااصبر على ذلك ثم غضب
غضباً شديدا وامتلأ غيظا فامسكت عن الكلام وقلت والله ماهذا فضل من الله
سابق وحكم لامحاله واقع ثم استأذنته فى الانصراف ورجعت الى منزلى فلقينى
جعفر فى الطريق يريد الرشيد فتواريت عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم عليه
فاجلسه عن يمينه واكرمه غاية الاكرام وبش فى وجهه وحادثه ساعة ووهب
خادما من خاصة خدمه وأنبلهم وارضخهم واكملهم ظرفا كاتبا حاسباً لبيباً
وفسر جعفر سرورا كاملا ووقع فى قلبه أجل موقع وكان دسيساً عليه وبلية
لديه يرفع اخباره الى الرشيد ويحصى عليه انفاسه ساعة بساعة ووقتاً بوقت
فخلا جعفر ذلك وليلته واحتجب من اجله الناس فلما كان بعد ثلاثة ايام سرت
الى جعفر فسلمت عليه فلما خلا محله ولم يبق عنده غيرى وذلك الخادم
واقف وعلمت ان الخادم يحصى علينا اخبارنا فقلت ايها الوزير نصيحة استأذن لى
فى الكلام فقال تكلم وكان الرشيد ولا مدينة خراسان كلها ومايضاف اليها وينسب
لها قبل هذا الغلام بايام وخلع عليه عقد لواء وعسكر بالنهروان وضرب الناس مضاربهم
وتحكمت فيها وهم متأهبون للسفر فقلت ياسيدى انت عازم على الخروج الى بلده كثيرة
الخير واسعة الاقطار عظيمة المملكة فلو صيرت بعض ضياعك لولد من
أولاد امير المؤمنين لكان أحظى لمنزلتك عنده فلما قلت ذلك نظر الى مغضباً

وقال والله يااسماعيل ماأكل الخبز الا بفضلى ولا قامت هذه الدولة الا بنا
اما كفى انى تركته لا يهتم بامر شيء من أمور نفسه وولده وحاشيته ورعيته
وقد ملأت بيوت اموالا امواله ولازلت للامة الجليلة ادبرها حتى يمد عينه
الى ماادخرته واخترته لولدى وداخله حسد بنى هاشم وبغيهم ودب فيه الطمع
والله لان سألنى عن ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله ياسيدى ماكان
مما ظننت شيء ولا تكلم امير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضول منك فقعدت
بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلى ولم اركب اليه ولا الى الرشيد لانى صرت بينهما
فى حالة تهمه وقلت فى نفسى هذا الخليفة وهذا وزيره وأى شيء لى بالدخول
بينهما ولا شك فى زوال نعمة البرامكة وان أمورهم قد انتهت قال وحدثنى
خادم ام جعفر ان الخادم الذى وهبه الرشيدى لجعفر كتب الى الرشيد بما
كان بينى وبينه وماتكلم به من الغيظ قال فلما قرأ الكتاب وفهم الخبر
احتجب ثلاثة أيام مفتكراً فى ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل فى اليوم الرابع
على زبيده فخلا بها وشكا مافى نيته واطلعها على الكتاب الذى رفعه عليه الخادم
وكان بين جعفر وزبيده شر وعداوة قديمة فلما تمالكت الحجة عليه بالغت فى
المكر بهم واحتجت فى هلاكهم وكان الرشيد يتبرك بمشاورتها فقال اشيرى
على برأيك الموافق للرشيد فانى خائف ان يخرج الامر من يدى ان تمكنوا من
خراسان وغلبوا عليها فقالت ياأمير المؤمنين مثلك مع البرامكة كمثل رجل
سكران غريق فى بحر عميق فان كنت قد افقت من سكرك وتخلصت من غرقك
أخبرتك بما اصعب عليك وأعظم من هذا بكثير وان كنت على الحاله الاولى
تركتك فقال لها قد كان ماكان فقولى اسمع منك فقالت ان هذا الامر أخفاه عنك
وزيرك وهو أصعب مما أنت فيه واقبح وأشنع فقال لها ويحك وماهو فقالت
أنا اجل من ان اخاطبك به ولكن تحضر أرجوان الخادم وتشدد عليه وتوهنه
ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد حل جعفر محلا لم يحله أخوه وبناته
وأمره ان يدخل على الحريم فى السفر والحضر وأبرز اليه جواريه وأخوته وبناته
لانه كان بينهما رضاع سوى امرأته زبيده فانه لم يكن رآها ولا دخل عليها
ولا قضى لها حاجة ولا هى أيضا تستقضيه حاجة فلما قسد قام الرشيد وعزم

على هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فخلت على جعفر أنه يدخل على الحريم فى غياب الرشيد ويقضى حوائجهن لانهن لايستترن منه وكان ذلك بامر الرشيد ماحدث من جعفر قال فخرج الرشيد واستدعى فارجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال برئت من المنصور ان لم تصدقنى فى حديث جعفر لاقتلك فقال الامان ياامير المؤمنين قال نعم اعلم ان لك الامان فقال اعلم ان جعفر قد تزوج أختك ميمونه ودخل بها منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين أحدهم له ستة سنين والآخر خمس سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد انفذها الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حامل الرابع وانت أذنت له بالدخول الى بيتك وأمرتنى ان لاأمنعه فى أى وقت شاء ليلا أونهاراً قال امرتك لاتحجبه فحين حدثت هذه الحادثة لم لاأخبرتنى أول مرة ثم أمر بضرب عنقه على الفور وقال يامسرور وامض الان فانصب فى وسط المحل القبة التركية ففعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم يعلم أحدا مايريد فلما جلس فى مجلسه وكان يوم موكب جعفر قال يامسرور لا تتباعد عنى ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكى فسلم عليه فرد عليه السلام أحسن رد ورحب به وضحك فى وجهه فجلس فى مرتبته وكانت أقرب المراتب الى أمير المؤمنين ثم حدثه ساعة وضاحكه فاخرج جعفر الكتب الوارده عليه من النواحى فقرأها عليه وأمر ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس ثم أستأذن جعفر فى الخروج الى خراسان فى يومه ذلك فدعا الرشيد المنجم وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم ساعه مضى من النهار قال ثلاث ساعات ونصف واخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر فى نجمه فقال فقال يا اخى هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا أرى الا أنه يحدث فيها حدث ولكن تصلى الجمعة وترحل فى سعودك وتبيت فى النهر وان وتبكر يوم السبت وتستقبل الطريق بالنهار فانه أصلح من اليوم فما رضى جعفر بما قاله الرشيد حتى أخذ الاصطرلاب من يد المنجم وأقام واخذ الطالع وحسب لنفسه وقال والله صدقت يا أمير المؤمنين ان هذه الساعة نحس وما

رأيت نجما أشد احتراقا ولا ضيق مجرى من البروج فى مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه ويجلونه الى أن وصل الى قصره فى جيش عظيم وامر ونهى وانصرف الناس فلم يستقر به المجلس حتى بعث الرشيد مسرورا وقال امض الى جعفر وائتنى الساعه وقل وردت كتب من خراسان فاذا دخل الباب الاول أوقف الجند واذا دخل الباب الثانى أوقف الغلمان واذا دخل الثالث فلا تدع أحدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل فى صحن الدار فمل به الى القبه التركية التى امرتك بنصبها فاضرب عنقه وائتنى برأسه ولا توقف أحد من خلق على ما امرتك به ولا تراجعنى وان لم تفعل أمرت من يضرب عنقك ويأتنى برأسك ورأسه جملة وفى دون هذا كفاية وانت اعلم وتبادر قبل ان يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور واستأذن على جعفر فدخل عليه وقد نزع ثيابه وارتاع وطرح نفسه ليستريح فقال ياسيدى أجب أمير المؤمنين قال فانزعج وارتاع منه وقال ويلك يامسرور أنافى هذه الساعه خرجت من عنده فما الخبر قال وردت كتب من خراسان يحتاج ان تقرأها فطابت نفسه ودعا بثيابه فلبسها وتقلد بسيفه وذهب معه فلما دخل من الباب الاول اوقف الجند وفى الثانى اوقف الغلمان ومال به الى القبة المضروبه فى صحن الدار وادخله فيها للبلاء وقال لمسرور ماالخبر قال أنت تدرى ماالقضيه وما كان الله ليهملك ولا ليغفلك فقد أمرنى امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل رأسك اليه الساعه فبكى جعفر وجعل يقبل يدى مسرور ورجليه ويقول ياأخى يامسرور قد علمت لك كرامتى دون جميع الغلمان والحاشية وان حوائجك مقضية فى سائر الاوقات وأنت تعرف موضعى ومحلى من أمير المؤمنين وما يوحيه الى من الاسرار ولعل ان يكونوا بلغوه عنى باطلا وهذه مائة الف دينار أحضرها لك قبل ان اقوم من موضعى هذا وخلنى أهيم على وجهى فقال لاسبيل الى ذلك ابداً قال فاحملنى اليه واوقفنى بين يديه فلعله اذا وقع نظره على تداركه الرحمة فيصفح عنى قال مالى سبيل الى ذلك ابداً ولا يمكننى مراجعته وقد علمت أنه لاسبيل الى الحياة ابداً قال فتوقف عنى ساعة ورجع

اليه وقال له قدفرغت بما امرتنى به واسمع مايقول وعد فافعل ماتريد فان فعلت ذلك وحصلت الى السلامة فانى أشهد الله وملائكته انى اشاطرك فى نعمتى مما ملكته يدى واجعلك أمير الجيش وأملكك أمر الدنيا ولم يزل به وهو يبكى حتى طمع فى الحياة قال له مسرور ربما يكون ذلك وحل سيفه ومنطقته واخذهما ووكل اربعين غلاما من السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدى الرشيد وهو جالس يقطر غضبا وفى يده القضيب المولع ينكت به الارض فلما رآه قال له ثكلتك أمك ما فعلت فى أمر جعفر فقال يا أمير المؤمنين قد نفذت امرك فيه قال فاين رأسه قال فى القبة قال ائتنى برأسه الساعه فرجع مسرور وجعفر يصلى وقد ركع ركعة فلم يمهله أن يصلى الثانيه حتى سل سيفه الذى أخذه وضرب عنقه وأخذ رأسه بلحيته فطرحه بين يدى أمير المؤمنين وهو يشخب دما فتنفس الصعدا وبكى بكاء شديدا وجعل ينكت فى الارض أثر كل كلمة ويقرع اسنانه بالقضيب ويخاطبه ويقول ياجعفر الم احلك محل نفسى ياجعفر ما كافاتنى ولا عرفت حقى ولا حفظت عهدى ولا ذكرت نعمتى ولا نظرت فى عواقب الامور ولا تفكرت فى صروف الدهر ولا حسبت تقلب الايام واختلاف احوالها ياجعفر خنتنى فى أهلى وفضحتنى بين العرب والعجم ياجعفر أسأت الى والى نفسك ولا تفكر فى عاقبة أمرك قال مسرور وانا واقف بين يديه وهو ينكت فى الارض فى كل كلمة ولم يزل كذلك الى أن أذن لصلاة الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلى بالناس جماعة ثم التفت بوجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على أبيه وأخيه وجميع أولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم واستباح ما فيه ووجه مسرورا فى المعسكر فاخذوا جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكه وحاشيتهم نحو الف انسان وترك ما بقى منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم فى البلاد ولم يقدر احد منهم على كسرة خبز وجلس أباه يحى واخاه الفضل فى مطمورة وامر بجثة جعفر فصلب الى الجسر ببغداد ثم بعث الى خراسان أن يوطن بلاده أوامر الناس فردوا مضارا بهم ودخل المعسكر واستقرت له الامور واحضر

على بن عيسى هامان فولاه خراسان ثم وجهه الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فاتى بالصبيين ولدى جعفر من اخته ميمونه فادخلاعليه فى بيته ورآهما فاعجب بهما وكانا فى نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنيه وفصاحتهما هاشميه وفى الفاظهما عذوبة وبلاغة فقال لكبيرهما ما اسمك ياقرة عينى قال الحسن وقال للصغير ما اسمك ياحبيبى قال الحسين فنظر اليهما وبكى بكاء شديد ثم قال يعز على حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما ولم يدريا ما يراد بهما ثم قال يامسرور ما فعلت بالمفتاح الذى دفعته لك وامرتك بحفظه قال هو حاضر يا أمير المؤمنين قال فائتنى به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وامرهم أن يحفروا فى البيت حفرة عميقه ودعا مسرورا وامره بقتلهما ودفنهما مع أمهما فى تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكى بكاء شديدا ثم مسح عينيه من الدموع وامر أن لا تذكر البرامكة فى مجلس ولا يستعان بمن بقى منهم فى المدينة ابدا فخرجوا على وجوهم فى البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه فيها خطاب وابيات شعر فبحث عنها فقال أن صاحب السر عملها فبعث اليه فسأله عنها فقال أن صاحب السر عملها فبعث اليه فسأله عنها فقال يا أمير المؤمنين وجدتها فى صحن الدار ولا أعلم من من طرحها فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقال ان ذلك من زبيده لتهلك باقى البرامكة وعملت الرقعه للرشيد وحركته وزادت فى غيظه فاستدعى فى الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد أن يهلكه وزاد فى حديده واغلاله ثم استدعى بيحيى وكان شيخا كبير وزاد فى حديده واغلاله ايضا وكان قد نشأ فى النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد يستعطفه ويسأله أن يخفف عنه من القيد والاسر

(ويحكى) أن الرشيد قال لابى نواس بعنى ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك قال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فاخذها وربطها وقال ياأمير المؤمنين خذ ماشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى أبو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من أمير المؤمنين

قال فبينما هو متفكر فى أمر يفعله اذا جاءه قاصد أمير المؤمنين فلم يقدر أن يتكلم دون أن قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده فى جمع كثير من خواص المملكة وأعيان الدولة وكان من شأنه أن يجلس بالقرب من أمير المؤمنين فتخادثوا وتمازحوا فضرط ابو نواس ضرطه مزعجه أزعجت الحاضرين فضحكوا جميعاً وضحك أمير المؤمنين وقال له فى ذلك فقال له فى الحال والله أعلم هى ذقن من فقال أمير المؤمنين قد وهبتها لك ياملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيله والله اعلم انتهى

(معن بن زائده الشيبانى) كان من الكرماء وكان عاملا بالبصره فحضر على بابه شاعر وأقام مدة للدخول فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها وقراها فاذا فيها هذا البيت مكتوب

ايا جود معن ناج معنا بحاجتى   فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشره الاف درهم فاخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى اخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فأمر له بمائة الف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل بمثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجده فقال معن والله هممت ان اعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار فيه وصار يقول القائل

يقولون معن لازكاة لماله   وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حولى لم يجده فى دياره   من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ماجئته متهللا   كانك تعطيه الذى انت آمله
هو البحر من اى النواحى اتيته   ولجته المعروف والبر ساحله
تعود ببسط الكف حتى لوانه   اراد انقباضاً لم تطعه انامله
فلو ان مافى كفه غيرا نفسه   لجاد بها فليتق الله سائله
ومن قول معن دعنى هب الاموال حتى اعف الا كرمين عن اللئام

(ويروى) ان معن بن زائده خرج فى جماعة يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى فلما ظفر به نزل فذبحه فراى شخصا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال من اين اتيت من ارض قضاعة وانى لى بها ارضا لها عدة سنين مجدب به وقد اخصبت فى هذه السنه فزرعتها قثاء فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها مااستحسنته وقصدت الامير معن بن زائده لكرمه المشهور ومعروفه المأثور واحسانه المذكور فقال كم أملت منه قال الف دينار فقال ان قال لك كثير قال خمسمائه دينار قال ان قال لك كثير قال ثلثمائة دينار قال ان قال لك كثير قال مائتى دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان قال لك كثير قال خمسين دينار قال ان قال لك كثيرا قال أقل من ثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حمارى فى حرامه وارجع الى أهلى خائباً فضحك معن منه ولحق جواده حتى لحق بعسكره ونزل منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ راكب على حمار بقثاء فادخل به على فاتى بعد ساعة فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيبته وجلاله وكثره خدمه وحشمه وهو متصدر فى دست مملكته فلما سلم عليه قال له الامير معن ماالذى أتى بك ياأخا العرب قال أملت الامير وأبيته لقثاء فى غير أوانها قال فكم أملت فينا قال الف دينار قال كثير قال خمسمائةدينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتى دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذى قابلنى على مشؤما قال خمسين دينار قال كثير قال أفلا أقل من ثلاثين قال فضحك معن وسكت فعلم الاعرابى أنه صاحبه فقال ياسيدى ان لم تعطنى الثلاثين فالحمار مربوط فى الباب وها أنا جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتى دينار ومائة دينار وخمسين دينار وثلاثين دينار ودع الحمار مربوطا فبهت الاعرابى وسلم الفى دينار ومائة وثمانين دينار فرحمة الله عليهم أجمعين (وقيل) كان معن بن زائده فى بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء واذا بثلاث جوار قد أقبلن حاملات لثلاث قرب فسقينه فطلب شيئا من المال مع غلمانه فلم يجد فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم

من كتالية نصولها من ذهب فقالت احداهن ولكن لم تسكن هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيئا من الابيات فقالت الاولى

يركب فى السهام نصول تبر ‎ ‎ ‎ ‎ وترمى للعدا كرما وجوداً
فللمرضى علاج من جراح ‎ ‎ ‎ ‎ واكفان لمن سكن اللحود

وقالت الثانية

ومكارم من فرط جود بنانه ‎ ‎ ‎ ‎ عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد ‎ ‎ ‎ ‎ كى لا يفوته التغاريب والندا

وقالت الثالثة

ومن جوده يرمى العداة باسهم ‎ ‎ ‎ ‎ من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه ‎ ‎ ‎ ‎ ويشترى الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة (فمن) ذلك سعى رجل فى افساد دولة المهدية وكان من الكوفة فعلم به المهدى فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فاقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر فى بغداد فبينما هو فى بعض الشوارع اذ رآه رجل من الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع طرفه ونادى هذا طلبة أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه التفت فاذا بمعن ابن زائده فقال ياابا الوليد أجرنى اجارك الله فوقف فقال الرجل الذى تعلق به ماتريد منه قال هذا طلبه أمير المؤمنين أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فقال له معن دعه ثم قال ياغلام اردفه فاردفه وكر راجعاً الى داره فصاح الرجل معن حال بينى وبين من طلبه أمير المؤمنين ولم يزل صارخا الى ان اتى قصر المهدى فامر المهدى باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن أولاده ومماليكه وقال لاتسلموا الرجل وواحد منكم يعيش وسار الى المهدى فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يامعن أتجير علينا عدونا قال نعم ياامير المؤمنين قال المهدى نعم واشتد غضبه فقال معن ياامير المؤمنين بالامس بعثتنى الى اليمن مقدم الجيش فقتلت فى طاعتك فى يوم واحد عشرة الاف رجل ولى مثل هذا أيام كثيرة فما رأيتمونى اهلا ان اجير رجلا

واحداً استجار بى ودخل منزلى فسكن غضب المهدى وقال قد اجرنا من اجرت ياأبا الوليد قال معن فان رأى امير المؤمنين ان يصله بصلة يعلم منها موقع الرضا فان قلبه قد انخلع من صدره خوفا قال قدأمرنا له بخمسين الف درهم قال ياامير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعيه قال قد امرناك بمائة الف درهم قال عجلها ياامير المؤمنين فان خير البر عاجله فاحضر معن الرجل وقال له خذ صلة امير المؤمنين وقبل يده واياك ومخالفة خلفاء الله فى أرضه فما كل مرة تسلم الجرة فارسلها الناس مثلا وأخذ الرجل المال واستغفر الله انتهى (وكان) معن لايغيظ أحداً ولا احد يغيظه فقال بعض الشعراء أنا اغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه على مائة بعير ان اغاظه اخذها وان لم يغظه رفع مثلها فعمد الرجل الى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب يقع عليه وقد لبس برجليه نعلين من نعل الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يدى معن على هذه المشروحه ومد رجليه فى وجهه وقال

أنا والله لاأبدى سلاما على معن المسمى بالامير

فقال معن السلام لله ان سلمت رددت عليك وان لم تسلم ماعتبنا عليك

(فقال الشاعر)

ولا انزل بلادا انت فيها ولو جزت الشام مع الثغور

فقال له البلاد لله ان نزلت مر حبابك وان رحلت كان الله فى عونك

(فقال الشاعر)

وارحل عن بلادك الف شهر اجد السير فى اعلى القفار

فقال له مصحوبا بالسلامه فقال الشاعر

اتذكر ان قميصك جلد شاه وان نعلاك من جلد البعير

فقال له اعرف ذلك ولا انكره فقال الشاعر

وتاوى كل مصطبة وسوء بلاعبد لديك ولا وزير

فقال له مانسيت ياأخا العرب فقال الشاعر

ونومك فى الشتاء بلا رداء واكلك دائما خبز الشعير

فقال الحمد لله على كل حال   فقال الشاعر

وفى يمناك عكاز قوى   تذود به الكلاب عن الهرير

فقال ما خفى عليك خبرها أذ هى كعصى موسى   فقال الشاعر

فسبحان الذى اعطاك ملكا   وعلمك الجلوس على السرير

فقال له بفضل الله لا فضلك   فقال الشاعر

فجدلى يا ابن ناقصه بمال   فانى قد عزمت على المسير

فامر له بالف دينار   فقال الشاعر

قليل ما أمرت به فانى   لاسمع منك بالشى الكثير

فامر له بالف دينار أخرى   فقال الشاعر

فتلك اذ ملكت الملك رزقا   بلا عقل ولا جاه خطير

فامر له بثمانمائه دينار   فقال الشاعر

ولا أدب كسبت به المعانى   ولا خلق ولا راى منير

فامر له باربعمائة دينار   فقال الشاعر

فمنك الجود والافضال حقا   وفيض يديك كالبحر الغزير

فامر له بخسمائة دينار وما زال يطلب منه الزياده حتى استكمل الف دينار فاخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعدم انتقامه منه قال فى نفسه مثل هذا لا ينبغى ان يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه ومدحه واعتذر له بان الحامل لهجوه المائة بعير التى صار الرهان عليها فى نظير اغاظته فامر له بمائة بعير يدفعها فى نظير الرهان وبمائه أخرى لنفسه فاخذها وانصرف والله اعلم

﴿ خلافه المامون بن الرشيد واسمه عبد الله ﴾

روى بعض أهل الادب ان فتى من الكوفة قد فاق اهل زمانه فى الادب والفصاحة فضاق صدره وعيل صبره فخرج الى بغداد واكترى فى بعض خاناتها منزلا واجمع رايه على أن يحمل نفسه على خطر هائل ليكون فيه هلكه وتربص لذلك أن يرى وجها الى ان عزم المأمون أن يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فامر المامون بالاستعداد ليوم سماع ليخلو فيه مع الجوارى فظهر

خبرها بذلك وعرض الناس ذلك اليوم عزم هذا الاديب المذكور على أن يتطفل فى ذلك على المامون واخيه المعتصم فمضى الى اخوانه واصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزوربة ومن آخر منطقة وخفا وسيفا ومن آخر برذونا ومن آخر ما يحتاج من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير أنى رسول أمير المؤمنين واستأذن لى عليه فسعى الحاجب عدوا حتى أخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له سيدى أن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك أنسيت الوعد الم يقدم اليك جار كوب نخلوا ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة ونمت نومه لا تقوى بذلك على سائر النهار فقال الفتى فعجل الان ايها الامير فانه أمرنى لا افارقك حتى آتيه بك فامر المعتصم باسراج مركوبه واسرع فى التاهب ولبس ثيابه وتطيب وركب الفتى معه والمعتصم لا ينكر شيئا من كلا الفتى ويتامل لطافته وهياته ولم يتوهم الا أنه من بعض خواص المامون واخذ الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بحكايته ولم يتمكن من سؤال شهوة لاسماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه على دابته واخذ يمشى بين يديه الحجاب لا ينكرون منه شيئا ويظنون أنه من خدم المعتصم حتى نزل واخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر فى مجلسه جلس الفتى بين يديه وهو منهمك فى نوادره واخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من حسن كلامه واخبر المأمون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا يعرف من هو فقال المامون أخى قد عرف هذا المجلس أتفقنا عليه لا ينبغى أن يحضره احد من الناس الا من هو عديل النفس وقد احسن اخى اذ جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره اكثر من اثنين تعطل لقيام احدهما الى الصلاة والى مالا بد منه ثم خرج من ساعته فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما استقر على سريره والفتى عالم بما وقع فى نفس المأمون نهض قائما فقبل يد المأمون وعاد الى مجاسه واخذ فى نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن أخباره وغالب أشعاره

كانه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المامون انه من خواص المتعصم فساعة يكتبه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المامون وأظهر الحسد لاخيه فى صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وأمر المامون باحضار المائده فنصبت بانواع الطعام فاكلوا وغسلوا أيديهم ولمجلس الشراب انتقلوا وأمر المامون باحضار الجوار ومن غير ستاره فحضرن وأخذن فى الغناء فما من صوت يمر الا والفتى عارف به وبالغناء ومتى قيل فيمن قيل فعزفى عين المامون وملاعبته وتزايد حسده لاخيه فى صحبة مثله فحس الفتى بذلك ولم يجد للمنافقة سبيلا فقام وهو متيقن أنهما سيذكرانه ويتواصفان أمره وحاله اذا خلا المجلس فماهو الا انغاب من بين أيديهما حتى قال المامون لاخيه المعتصم ياابا اسحق من صاحبك هذا فوالله مارأيت رجلاقط اكثرمنه فقال المعتصم والله ماأعلم من هو وانه جاءنى مبكراً برسالة امير المؤمنين فقال المأمون سألتك بالله ياأخى اهوكذلك فقال أى والله لاإله الاهو فقال المامون طفيلى ورب الكعبة وغضب وأمر الجوارى بالنهوض فنهض وأقبل الفتى راجعا فلما نظر الى خلو المجلس من الجوارى والى تاسير المامون وقف على رأس المجلس واقبل بوجهه على المعتصم وقال ياابا اسحق كانى بك قد أخذت فى نوع الزور والبهتان وما هكذا وعدتنى ثم قال والله ياأمير المؤمنين مابليت من أحد الناس مثل مابليت من هذا لانه دائما ابداً يعرضنى لمثل هذا واشباهه ويغرى بى ويوقعنى فى كل ورطة من ملاعبته التى لاتحمل وتؤدى الى مؤاخذة امير المؤمنين ولم يزل ياتى بهذا وامثاله حتى شك المامون فى أمره والتفت الى أخيه المعتصم وقال سألتك بالله ياأخى بحياتى عليك الاماعلمتنى بحقيقة أمره فقال المعتصم ياامير المؤمنين برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولايتك ان كنت أعرفه أو رأيته قط الافى يومى هذا فقال الفتى كذب والله ياامير المؤمنين لقد كنت معه دهرى الطويل وفى موضع كذاوكذا وان هذا مافعله معى ابداً فضحك المامون تعجباً وقال أدخل فدخل وأمر بالجلوس فجلس ثم قال لك الامان ان تصدقنى فصدقه الحديث على وجهه فاعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وأمر باعادة الجوارى فى مجالسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المامون اخبرنى باعجب مالحق فى قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله

نظما فقال

بينا انا را قد فى البيت مكتئب   مفكر فى حصول الكد والقوت
وليس فى البيت شىء ألم به   وبى من الجوع مايدنى الى الموت
اذا بصوت بباب الدار أسمعه   والاذن مصغية الى الصوت
ناديت من الذى ارجوه لى فرجا   نادى أنا فرج زن لى كرا البيت

فضحك المامون حتى استلقى على فراشه ثم ضرب برجله الارض من شدة اعجابه وقال ثم ماذا قال ياأمير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب الخان يطالبنى الكراء فوعدته بان يرجع الى مرة أخرى فمضى ومضيت على وجهى لا اعلم أين توجه فسالت كل من لقيته من صديق لى كنت استانس به فخطر على بالى بيتان من الشعر فى ذلك وهما

غريب الدار ليس له صديق   جميع سؤاله أين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شخص   كما يتعلق الرجل الغريق

فاشرفت على ياامير المؤمنين جارية كانها البدر ليلة كماله وهى تقول

ترفق ياغريب فكل حر   يمر بحاله سعة وضيق
وكل ملمة آليت فيها   سترت لها اتيح لها الطريق

ثم قالت خذ هـذه وادفع بها فاقتك فوالله ماهى الامواساة من قوت ورمت الى صدرى القرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرجعت من فورى فوجدت صاحب الكراء قائما على الباب فدفعت اليه خمسة دراهم واستعنت بالباقى وهذا ماحمل على مافعلت وانشا يقول

كم آت فعلا غير مستحسن   جهلا لفعلى الاحسن الاملح
لكننى فى حالة اوجبت   ضرورة اتيان مستقبح

فاعجب المامون أمره واستحسنه بمائة الف درهم يصلح بها شأنه والحقه بمراتبه الخاصة وكبرت منزلته عنده وصار اقرب الناس اليه وآخر من خرج من عنده واول داخل اليه وسمى طفيلى المعتصم وانشد المامون يقول

كان لقلبى اهواء مفرقة   فاستجمعت اذ راتك العين اهوائى

فاستحسن المامون الابيات وأمر ان تكتب على الستاره وصار الفتى اذا حضر يوم

مرور المأمون لم يكن للمامون هم الاقتراح هذه الابيات الى أن ينقضى
المجلس ثم أن الرحل بعد أن حسنت حالته أرسل الى الدار حتى أشرقت عليه
منها الجاوية فاذا هى لفتى من بغداد من مباشريها وقد مات ولم يختلف ولدا
سوى تلك الجارية وما مات حتى تضعضع حاله فاعلم المأمون بذلك فامر
بخطبتها للفتى ودفع المهر من عنده صار الفتى والجارية فى نعمه عظيمه
بقية عمرها (انتهى)

والحمد لله أولا وآخرا

فهرست

كتاب — أعلام الناس
بما وقع للبرامكة مع بنى العباس

صفحه

صفحه

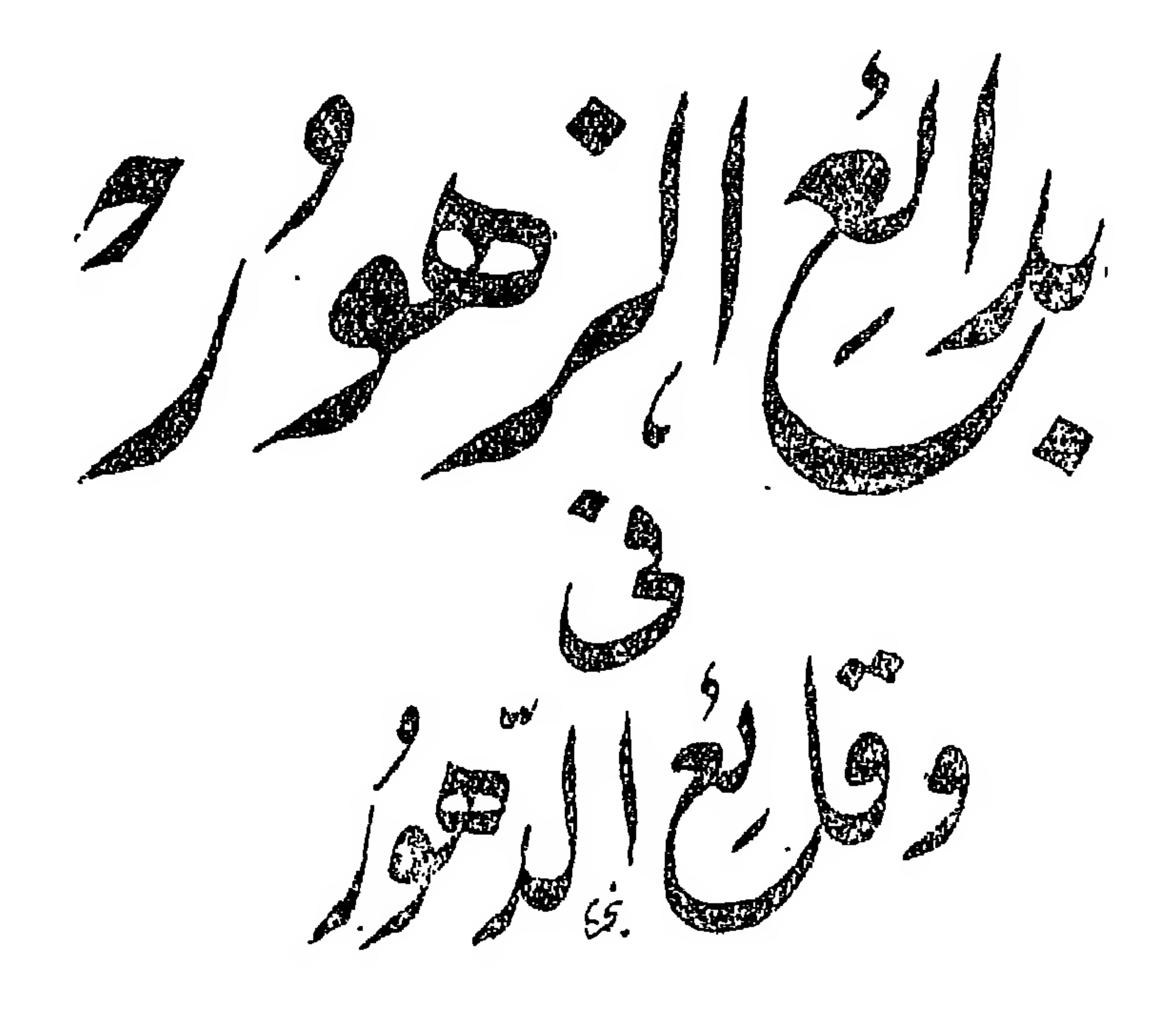
مكتبة التقدم التجاريه
ومطبعتها

رقم ٧ و ١٠ بدرب العنبه بمصر

شارع محمد على

لصاحبها — فهمي يوسف

المكتبه على استعداد تام لطبع وتوريد مايطلب من مطبوعاتها الى جميع جهات القطر المصرى والخارج بأثمان متهاوده وطبع متقن باحرف جديده ممتازه عن غيرها بخصوص الطبع وتسهيلا لمن يريد معاملتنا ان يرسل العربون مقدما والباقى يحول عليه بالبوسته جميع الاثمان مهاوده ـ بذمه ـ وامانه ـ وسرعه فى الارسال ومن يشرف يرى مايسره



للعالم الفاضل والهمام الكامل الشيخ محمد بن احمد بن اياس رحمه الله

هذا الكتاب جمع فاوعى من ابتد انشاء الخليقه وبه عموم قصص
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما حصل لهم من الايات البينات

مطبوع طبع جيد على مقاس القطع الكبير . وهذه الطبعة ممتازه
عن عموم الموجود بالمكاتب ومصححه باتقان واعتناء تام

جدير لكل انسان اقتناء هذا الكتاب الجميل وقد جعلنا ثمنه
زهيد جدا خدمة للادب وهو (قرشين صاغ) خلاف اجرة البريد

ويطلب من مكتبة التقدم التجاريه ومطبعتها الكائن مركزها
بدرب العنبه رقم ٧ و ١٠ بشارع محمد علي بمصر لصاحبها فهمي يوسف


Bibliotheca Alexandrina
0378413